العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٧

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

السيد هاشم الميلاني

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢م

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

■ النـاشر: العتبـة العلويـة المقدسـة

■ تـأليف: الـسيد هاشـم المـيلاني

■ تنضيد وإخراج: نذير هندي الكـوفي

■ عـدد النـسخ: ١٠٠٠ نـسخة

■ الـسنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق ـ النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

ما زالت الدراسات والأبحاث والكتب - منذ مئات السنين - تترى حول سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام وحياته، وما يحيطها منذ الولادة وحتى الشهادة.

ولم يتم لحدّ الآن – حسب ما أعلم – ببلوغرافية جامعة لكل ما كتب عن أمير المؤمنين من كتب وبحوث وحتى مقالات في المجلات والصحف، وهو عمل جدير بالاهتمام، نعم هناك جهود مشكورة في هذا المجال ولكنّها لم تكتمل بعد.

وقد اهتمت مكتبة الروضة الحيدرية بنشر التراث العلوي منذ اعادة تأسيسها لحد الآن، ومن جملة اهتماماتها مشروع «**سلسلة في رحاب نهج البلاغة**» حيث تتناول السلسلة ما يخصّ نهج البلاغة من دراسات وبحوث ودروس وكتيبات أخلاقية وغيرها، إذ انّ نهج البلاغة

يشكّل هويّة الإنسان المسلم، لما في هذا السفر القيّم من مواضيع تخصّ أصول الدين وفروعه، وتبين مناهج الحياة.

ومعكم في هذه الحلقة من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» مع دراسة موجزة عن حياة أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته العطرة من خلال ما جاء عن لسانه القدسي عليه السلام في نهج البلاغة.

علي ورسول الله صلى الله عليه وآله

بزغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية بعد فترة من الرسل، وبعد تفشّي الجاهلية الجهلاء في القبائل وبين الناس، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحالة قائلاً: «**انّ الله سبحانه بعث محمداً نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شر دار، مُنيخُونَ بين حجارة خُشنٍ، وحيّات صُمّ، تشربون الكَدِرَ، وتأكلون الجَشِبَ، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة**»[1].

وقال عليه السلام: «**أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظٍّ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، واياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهي متجهّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف**»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٨ .

ففي هذه الظروف الحرجة ظهرت دعوة الاسلام، وكان أوّل من أناب وأجاب اليها علي بن أبي طالب عليه السلام كما سيوافيك بيانه.

١- إسلامه عليه السلام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«والله لأنا أوّل من صدّقه»**[١] وقال عليه السلام: **«انّي ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإسلام والهجرة»**[٢] وقال عليه السلام: **«فعلى من أكذب؟ أعلى الله، فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه، فأنا أوّل من صدّقه»**[٣] وقال عليه السلام: **«اللهم انّي أوّل من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة»**[٤].

وقال عليه السلام: **«ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما»**[٥].

تشير هذه النصوص إلى انّ أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من أسلم، هذا ما دلّ عليه الروايات الكثيرة الصحيحة والموثقة والمعتبرة، ونظمه الشعراء أيضاً في قصائدهم، واعترف به كثير من الصحابة والتابعين.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٦.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٦.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٠.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣١.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

فمن الروايات ما أورده الحاكم والطبراني وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال لفاطمة عليها السلام: **«انّه لأول أصحابي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»**[1].

وفي مستدرك الحاكم، وسنن ابن ماجة، عن علي عليه السلام قال: **«صلّيت قبل الناس بسبع سنين»**[2] وعن علي عليه السلام قال: **«أنا أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله»** قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبة العرني وقد وثق»[3].

وفي المستدرك للحاكم[4] وقد صححه عن ابن عباس قال: «كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة» ورواه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب وقال: «هذا اسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقله، وهو يعارض ما ذكرناه عن ابن عباس في باب أبي بكر، والصحيح في أمر أبي بكر انّه أوّل من أظهر اسلامه، كذلك قال مجاهد وغيره وقالوا: ومنعه قومه، وقال ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة وأبو إسحاق: أوّل من أسلم من الرجال علي، واتفقوا على أنّ خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به، ثم عليّ بعدها»[5].

١- مجمع الزوائد ٩: ١٠٢.

٢- مستدرك الحاكم ٣: ١١٢، سنن ابن ماجة ١: ٤٤.

٣- مجمع الزوائد ٩: ١٠٣.

٤- مستدرك الحاكم ٣: ١٣٣.

٥- الاستيعاب: ٣: ١٠٩٢.

فبعد هذا لا يبقى مجال للشك في تقدّم اسلام أمير المؤمنين عليه السلام سيما انّ الروايات الواردة في تقدّم إسلام أبي بكر مدخولة وضعيفة، وقد روى الطبري عن محمد بن سعد ما يدلّ على انّ أبا بكر أسلم بعد خمسين رجلاً، قال محمد بن سعد: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم اسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً[1].

٢- جهاده عليه السلام:

كان لسيف أمير المؤمنين عليه السلام الدور البارز في تثبيت أركان الإسلام، فقد ورد في كشف الغمة للاربلي عن الحسن البصري انّه قال: «استوى الإسلام بسيف علي عليه السلام»[2] وقال العلامة الحلي: «وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام، وتشيّدت أركان الإيمان»[3].

ونحن هنا لسنا بصدد سرد مواقف أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية إلّا بقدر ما وردت الإشارة إليها في نهج البلاغة، لذا نحيل القارئ الكريم إلى كتب السير والتاريخ.

انّ الأساس الذي اعتمد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في جهاده، هو نصرة الحق، ولذا كان يقول: «**ولعمري ما عليّ من قتال من خالف**

١- تاريخ الطبري ٢: ٦٠.

٢- كشف الغمة ١: ٣٢٢.

٣- منهاج الكرامة: ١٦٤.

الحق وخابط الغي، من إدهان ولا إيهان»[1].

وهو عليه السلام يصف لنا صورة رائعة من الجهاد والتضحية ويقول: **«ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك الّا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوئاً أوطانه»**[2].

وعلي عليه السلام كان هو الرجل البارز في هذا الميدان حيث يقول في وصف بعثة النبي صلى الله عليه وآله: **«فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم... وايم الله لقد كنت من ساقتِها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا جبنت...»**[3].

وقال عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية: **«فأنا أبو حسن، قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر»**[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٣.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.

٣- اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد**»[١]. يدلّ هذا النص الشريف على شدّة اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وقربه منه، وهذا شيء لا ينكر، وقد نطقت به كتب الحديث والتاريخ. فهو عليه السلام تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان معه إلى آخر لحظة، وكم من حادث ورواية وردت في الصحاح والمسانيد أثبتت هذا الأمر كحديث المنزلة، وحديث الدار، وحديث الطير، وحديث المؤاخاة، وحديث الغدير وغيرها.

وقال عليه السلام أيضاً: «**ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخّر الأقدام**»[٢].

وصوّر عليه السلام في نص آخر مدى قربه واختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله وقال: «**وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كل يوم عَلَماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٧.

يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت: يارسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، الّا انّك لست بنبي ولكنّك وزير، وانّك لعلى خير»[1].

وهذا شرف ليس بعده شرف، وأين هذه المنقبة من تلك التي تمسكوا بها في آية الغار، ومصاحبة أبي بكر للنبي ﷺ لساعات من النهار، حيث استدلّوا بها على أفضليته واستحقاقه الخلافة، وهو لم يشهد نزول الوحي، ولم يسمع رنّة الشيطان، ولم يتوسّم بوسام «**ولكنّك وزير وانّك لعلى خير**» فأين هذه من تلك؟

وقد قال ابن أبي الحديد في شرحه نقلاً عن شيخه أبي جعفر: «ثم أنتم معشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب، ودخوله معه في الغار، فقلتم: مرتبة شريفة وحال جليلة، إذ كان شريكه في الهجرة، وأنيسه في الوحدة، فأين هذه من صحبة علي عليه السلام له في خلوته، وحيث لا يجد انساً غيره ليله ونهاره، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرّاً، ويتكلّف له الحاجة جهراً، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبرّ والده ويعطف عليه»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٢.

٤- الروايات المسندة:

لقد ورد في نهج البلاغة مجموعة من الروايات أسندها أميرالمؤمنين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله واستشهد بها تأييداً لكلامه، نوردها كما هي لمزيد الفائدة.

١- قال عليه السلام: «أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله: انّه يموت من مات منّا وليس بميّت، ويبلى من بلي منّا وليس ببال»[١].

٢- قال عليه السلام: «واعلم انّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: انّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويحبّ العمل ويبغض بدنه»[٢].

٣- قال عليه السلام: «لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[٣] **علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟ فقال: يا عليّ، إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي. فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي:**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

٣- العنكبوت: ١-٢.

أبشر، فإنّ الشّهادة من ورائك؟. فقال لي: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟.

فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البشرى والشّكر.

وقال: يا عليّ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع. قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّة، أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة»[1].

٤- قال عليه السلام في وصف زهد النبي صلى الله عليه وآله وإعراضه عن الدنيا: **«ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير، فيقول: يافلانة - لإحدى أزواجه - غيّبيه عنّي، فانّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها»**[2].

٥- قال عليه السلام: **«انّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيُلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدار الرحى، ثم يرتبط في قعرها»**[3].

٦- قال عليه السلام: **«انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: انّ الجنة حُفّت**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٥٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٤.

بالمكاره، وانّ النار حُفّت بالشهوات»[1].

٧- قال عليه السلام: «لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[2].

٨- قال عليه السلام: «إذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: يابن آدم اعمل الخير ودع الشر، فاذا أنت جواد قاصد»[3].

٩- قال عليه السلام: «ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرّنّة؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وإنّك لعلى خير. ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمّد، إنّك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب.

فقال لهم صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟. قالوا: تدعو لنا هذه الشّجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله على كلّ شيء قدير، فإن فعل الله ذلك لكم، أتؤمنون وتشهدون بالحقّ!. قالوا: نعم.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

قال: فإنّي سأريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئـون إلى خـير، وإنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب. ثمّ قال: يا أيّتها الشّجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسـول الله، فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله.

فوالّذي بعثه بالـحقّ نبيّاً لانقلعت بعروقهـا، وجـاءت ولهـا دويّ شديد، وقصف كقصف أجنحة الطّير، حتّى وقفت بـين يـدي رسـول اللهﷺ مرفرفةً، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه عليه السلام. فلمّا نظر القـوم إلى ذلـك قالوا ـ علوّاً واستكباراً ـ : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّـاً، فكـادت تلتـفّ برسول الله ﷺ. فقالوا ـ كفراً وعتوّاً ـ : فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان. فأمره عليه السلام فرجع. فقلت أنا: لا إله إلّا الله، إنّـي أوّل مؤمن بك يا رسول الله، وأوّل من آمن بأنّ الشّجرة فعلت مـا فعلـت بأمر الله تصديقاً لنبوّتك، وإجلالاً لكلمتك. فقـال القـوم كلّهـم: بـل ساحر كذّاب، عجيب السّحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمـرك إلّـا مثل هذا! يعنونني»[1].

١٠- قال عليه السلام: «فانّه لا سواء إمام الهدى وإمـام الـردى، ووليّ النبيّ وعدوّ النبي، ولقد قال لي رسول الله ﷺ: انّي لا أخـاف علـى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

امّتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كل منافق الجَنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون»[1].

١١- قال عليه السلام وقد أوصى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام في ابن ملجم لعنه الله قائلاً: **«ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يُمثّل بالرجل، فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»**[2].

١٢- قال عليه السلام في وصيته لهما عليهما السلام أيضاً: **«أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فانّي سمعت جدّكما صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام»**[3].

١٣- قال عليه السلام في عهده للأشتر في لزوم الاهتمام بالضعفاء: **«فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لن تقدّس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع»**[4].

١٤- قال عليه السلام له أيضاً: **«وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكوننّ**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٧.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

منفّراً ولا مضيّعاً، فانّ في الناس من به العلّة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجّهني إلى اليمن: كيف أُصلّي بهم؟ فقال: صلّ بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً»[1].

١٥- قال عليه السلام: «وقد كان فيما عهد اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه: تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم»[2].

١٦- وسُئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: **«غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود؟ فقال عليه السلام: انّما قال ذلك والدين قُلّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار»**[3].

١٧- قال عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك انّه قُضي فانقضى على لسان النبي صلى الله عليه وآله انّه قال: لا يبغضك مؤمن، ولا يحبّك منافق»[4].

٥- ساعة الرحيل:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: **«ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وانّ رأسه لعلى**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٣.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠.

صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: **«فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك»**[2].

ويؤيد هذا ما ورد عن عائشة انّها قالت لامرأتين سألنها عن علي عليه السلام: «أيّ شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وآله موضعاً فسالت نفسه في يده، فمسح بها وجهه»[3].

وفي الحديث الصحيح عن أم سلمة انّها قالت: «والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله عدنا رسول الله غداة وهو يقول: جاء علي، جاء عليّ؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنّك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت انّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان علي أقرب الناس عهداً»[4].

وقيل لابن عباس: «أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله توفّي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فانّ عروة حدّثني عن عائشة انّها

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٢.

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٣٩٤.

٤- المستدرك للحاكم ٣: ١٣٩ وصححه.

قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل هذا؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وانّه لمستند إلى صدر علي»[1].

وعن أبي رافع قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه في حجر علي ابن أبي طالب ...»[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «**قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه في حجر علي**»[3].

وعن الشعبي قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه في حجر عليّ»[4].

فهذه الروايات وغيرها الواردة عن الصحابة والتابعين تدلّ بصراحة على انّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله توفي ورأسه في حجر علي عليه السلام، وعليه فلا قيمة لما رواه القوم عن لسان عائشة من انّ النبي صلى الله عليه وآله توفي بين سحرها ونحرها، إذ انّه لا يقاوم سائر الأخبار الصحيحة والحسنة والموثقة التي تعارضه.

وأيضاً ممّا لا إشكال فيه ولا خلاف حوله انّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تولّى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد قال عليه السلام : «**ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ**

١- الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٣.

٢- مجمع الزوائد للهيثمي ١: ٢٩٣.

٣- الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٢.

٤- المصدر نفسه ٢: ٢٦٢.

يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلّون عليه حتى وارياه في ضريحه»[1].

فانظر إلى هذه المنقبة الشريفة، تتلو منقبة بدء الوحي حيث كان عليه السلام يرى نور الوحي والرسالة، ويشمّ ريح النبوة، وقال له الرسول صلى الله عليه وآله: **«انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى»** وسمع أيضاً رنّة الشيطان، فياله من شرف عظيم.

وقد أثّرت مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله على قلب أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ تأثير حتى انّه ترك الخضاب، فقد قيل له: لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: **«الخضاب زينة، ونحن قوم في مصيبة»** قال الشريف الرضي موضّحاً: يريد برسول الله صلى الله عليه وآله[2].

وقال عليه السلام عند تغسيل رسول الله صلى الله عليه وآله: **«بأبي أنت وأمي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء، خصّصت حتى صرت مسلّياً عمّن سواك، وعمّمت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا انّك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً، وقلّا لك، ولكنّه ما لا يمكن ردّه ولا يستطاع دفعه، بأبي أنت وأمّي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك»**[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٧.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٦١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٤.

- ٢ -

علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله

صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بغدر الأمة إياه، فقد روى الحاكم في المستدرك عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الأمة ستغدر بك بعدي**»[1]، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: «وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه»[2].

وبوادر الغدر كانت تلوح قبيل وفاته صلى الله عليه وآله من التخلّف عن جيش اسامة، والتكلّم في إمارته، وعدم إحضار الدواة والكتف عندما طلبها النبي صلى الله عليه وآله ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً[3].

وما أن رحل النبي صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلى – وقبل أن يُدفن – حتى حصل ما حصل من إقصاء أهل البيت عليهم السلام والتعدّي عليهم، وغصب حقوقهم الثابتة بنص القرآن والسنّة. وفيما يلي نشير إلى بعض تلك

١- المستدرك للحاكم ٣: ١٤٢ وصححه.

٢- شرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ١٠٧.

٣- راجع صحيح البخاري ٥: ١٣٧، وصحيح مسلم ٥: ٧٦.

الأمور بالاعتماد على ما ورد في نهج البلاغة:

١- السقيفة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالي، انّ العرب تُزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيته، ولا انّهم منحّوه عنّي من بعده**»[١].

وقال عليه السلام بعدما ذكر اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله وقربه منه ومواساته في جميع المواطن، ثم رحيله على صدره وتولّي غسله مع الملائكة: «**فمن ذا أحق به منّي حيّاً وميتاً؟!**»[٢].

لقد صدق إخبار النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بغدر الأمة إياه بعد رحيله مباشرة، فاجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، وكان أبو بكر خارج المدينة، فجاء عمر وبثّ دعاية عدم موت النبي صلى الله عليه وآله وتوعّد لمن قال بموته، أما بنو هاشم فقد اجتمعوا حول الرسول صلى الله عليه وآله واهتموا بغسله ودفنه.

كان هناك انقلاب سياسي خطط له من ذي قبل، كل يجرّ النار إلى قرصه، وكأنّه لم يكن أيّ شيء مذكوراً أو مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وآله ولو

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٧.

بالاشارة والإيماء – لو تنزلنا عن التصريح – فأين حديث الغدير، وأين حديث الثقلين، وأين حديث المنزلة، وأين وأين؟!

وهنا نص خطير يرويه البخاري عن عمر بن الخطاب يصوّر الانقلاب السياسي الذي حصل، فقد قال عمر بن الخطاب: «انّه قد كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ انّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد اخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة... فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويحضنونا من الأمر... فتكلّم أبو بكر... فقال: ... لم يعرف هذا الأمر الّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح... فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار»[1].

١- صحيح البخاري ٨: ٢٧.

ويلاحظ على هذا النص امور:

يذكر عمر انّ الأنصار خالفوهم واجتمعوا في السقيفة، ممّا يعني انّه كان يرى الأمر ثابتاً لغير الأنصار، وهذا أوّل الكلام، فانّ الرسول صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد ولا على قبيلة بحسب زعمهم، فمن أين جاءت هذه الرؤية حتى ينسب الأنصار إلى المخالفة؟

ثم يقول عمر: «خالف عنّا عليّ والزبير ومن معهما» والحال انّ الأمر لم يتم بعد ولم يعلم أحد لمن ستكون الخلافة، فيكف يقول: (خالف عنّا).

ثم يدلّ على تخلّف علي عليه السلام والزبير وغيرهما عن هذا الأمر لانشغالهم بأمر تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله، ولا أفهم كيف ترك زعماء القوم وكبار الصحابة تجهيز النبي صلى الله عليه وآله وانشغلوا بأمر الخلافة؟!

ثم يدل النص على انطلاق عمر وأبي بكر ومن معهما إلى الأنصار، لا لأن يدعوهم إلى المشاركة في تجهيز النبي صلى الله عليه وآله ولا لنصيحتهم بالصبر حتى يتمّ دفن النبي صلى الله عليه وآله ويحضر وجوه القوم، بل لأجل أن لا يقصوا من الأمر، وقد صرّح عمر بهذا حيث قال: «فاذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويحضنونا من الأمر»، أي يخرجونا من الأمر، وفي سيرة ابن هشام: «ويغصبونا الأمر» وكأنّ أمر الخلافة ثابت لهم، فكيف يتفق هذا مع عدم وجود النص كما يزعمون؟!

وكذا قوله: «فذكر ما تمالأ عليه القوم» أي الأنصار، فكأنّ هناك حق تمالأ عليه الأنصار ليقصوه عن أهله، والحال انّ مدرسة الخلفاء

تعتقد بعدم وجود أيّ نص، فأيّ معنى يبقى لتمالأ الأنصار غير الانقلاب السياسي المبيّت من قبل بعض الصحابة.

ثم الأطرف من هذا قول أبي بكر: «لم يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش» وفي لفظ ابن هشام في السيرة: «لن تعرف العرب هذا الأمر الّا لهذا الحيّ من قريش» وكأنّ الأنصار ليسوا من العرب، وكأنّ رجال قريش وكبارها أوكلوا الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ليتكلّموا ويقروا بالنيابة عنهم، حيث يتبرع أبو بكر الأمر لعمر أو لأبي عبيدة، أو يتبرع عمر الأمر لأبي بكر؟! فأين شيوخ قريش وكبارها؟! أين العباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وأين علي عليه السلام، وأين غيرهما من الشجعان وذوي النجدة والكفاءة لو كان الأمر لقريش كما يزعمون؟!

ولماذا لم نسمع من واحد منهم تأجيل الأمر حتى يدفن الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يجتمع وجوه الناس وشيوخهم للبتّ بأمر الخلافة، فلماذا هذه العجلة والتسرّع التي تعطي صورة سيّئة عنهم للتغلّب على الحكم.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك الأحداث بعدما تم الأمر وقال: «**ما قالت الأنصار؟**» قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: «**فهلا احتججتم عليهم بانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يُحسن إلى محسنهم، ويُتجاوز عن مسيئهم؟**» قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: «**لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم**»، ثم قال: «**فماذا قالت قريش؟**» قالوا: احتجّت بانّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله،

فقال: «**احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»[1].

وقال عليه السلام في مكان آخر لمعاوية: «**ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم**»[2].

طبعاً هذه الخلافات كانت بمرأى ومسمع من اليهود والنصارى وغيرهما، وكان موضع سخريتهم، حتى قال بعض اليهود لأميرالمؤمنين عليه السلام: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، وهنا انبرى أميرالمؤمنين عليه السلام كعادته للدفاع عن الإسلام قائلاً: «**انّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: انكم قوم تجهلون**»[3].

٢- مظلومية الزهراء عليها السلام:

انّ الحديث عن الزهراء عليها السلام ومظلوميتها وما جرى عليها بعد أبيها صلى الله عليه وآله ذو شجون، وحقيق بالانسان الحرّ الذي أطلق عقله عن أسر التعصبات المذهبية، أن يأسف على امّة سرعان ما نست وصايا رسولها بحق ابنته وأهل بيته، بحيث تموت أم أبيها وحبيبة قلب المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مقاطعة سياسية للسلطة الحاكمة آنذاك.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٠٨.

فقد ثبت في الصحيح انّ فاطمة عليها السلام وجدت على أبي بكر فهجرته ولم تكلّمه حتى توفيت[1] كما سنبيّن سببه لاحقاً.

فهل من المعقول انّ أشرف قبيلة في قريش وهم بنو هاشم، وأشرف بيت في بني هاشم وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله يقاطعون السلطة الفتية آنذاك، والتي يجب دعمها وتشييد مبانيها في تلك الظروف الحرجة، لا لشيء سوى الدنيا والصراع على المناصب، وهم هم في زهدهم وبعدهم عن الدنيا وزخارفها ونبذهم لها – كما هو ثابت عند الفريقين – ففاطمة تغضب على السلطة وتقاطعها، وعليّ يغضب على السلطة ولم يبايع وكذلك باقي البيوت الهاشمية، أليس هذا ينبئ عن شيء أخطر وأعمق ممّا يتصوره السذّج من الناس. فانتظر فسيوافيك بيانه في مسألة الإمامة والنص.

ونحن يكفينا في إدانة القوم، واثبات مظلومية الزهراء عليها السلام، ما ذكرناه آنفاً من الثابت الصحيح عند أهل السنة من غضب الزهراء عليها السلام على القائمين بالأمر آنذاك، ونضيفك بياناً ما ورد من إقدام عمر بن الخطاب على تهديد بيت الوحي بالإحراق والهجوم عليه، وذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عن عمر بن الخطاب لما جاء بالحطب إلى دار فاطمة فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص انّ فيها فاطمة، فقال: وإن[2].

١- صحيح البخاري ٥: ٨٢، وصحيح مسلم ٥: ١٥٤.

٢- الإمامة والسياسة ١: ١٩.

وما رواه المنقري من كلام عمرو بن العاص لمعاوية لما منع الماء عن جيش علي عليه السلام فنهاه عمرو وقال له: «وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول له: «لو استمكنت من أربعين رجلاً» فذكر أمراً. يعني لو انّ معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت، يعني بيت فاطمة[1].

ونقل الصفدي عن النظام - شيخ الجاحظ ومن كبار المعتزلة - انّه كان يقول: انّ عمر ضرب بطن فاطمة حتى ألقت المحسن من بطنها[2].

وأكّد هذا ندم أبي بكر عند وفاته على بعض ما صنعه، منها قوله: «وددت انّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه على حرب» [3].

فهذه النصوص وغيرها تدلّ على الإقدام لإحراق البيت بجمع الحطب، وتدلّ على تفتيش البيت والكشف عنه، وتدلّ على اسقاط المحسن، ظلامة ما فوقها ظلامة.

وإشارة إلى هذه الظلامات قال أمير المؤمنين عليه السلام عند دفن فاطمة الزهراء عليها السلام مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله: **«السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، ... انّا لله وانّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك**

١- وقعة صفين: ١٦٣.

٢- الوافي بالوفيات ٦: ١٥.

٣- تاريخ الطبري ٣: ٤٣١، العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٢٦٧.

ابنتك بتظافر امتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر»[1].

٣- فدك:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غد جدث»**[2].

يدل هذا النص الشريف على عدّة أمور:

١- قوله عليه السلام: **«بلى كانت في أيدينا فدك»** مما يدلّ على صحة دعوى الزهراء عليها السلام بانّ فدك لها، ويدل عليه ما رواه السيوطي عن البزار وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري انّه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾[3] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك[4].

وجاءت عليها السلام على ذلك بشهود، ففي تاريخ المدينة لابن شبة انّها قالت لأبي بكر: «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدكاً»، فقال لها: هل لك

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٣- الإسراء: ٢٦.

٤- الدر المنثور ٤: ١٧٧، وانظر كنز العمال ٣: ٧٦٧.

على ذلك بيّنة؟ فجاءت بعلي فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن فقالت: أليس تشهد انّي من أهل الجنة؟ قال: بلى، قالت: فأشهد انّ النبي صلى الله عليه وآله أعطاها فدكاً، فقال أبو بكر: فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين بها القضية[1].

ثم انّ للزهراء عليها السلام حقاً آخر منعت منه أيضاً، ألا وهو إرثها من النبي صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه وممّا اصطفاه لنفسه والذي دخل في ملكه، منعت منه أيضاً استناداً إلى حديث نسبه أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله انّه قال: سمعت رسول الله يقول: «ما نورث ما تركنا صدقة انّما يأكل آل محمد من هذا المال»[2].

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: «وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير، وكان له وادي نخلة، وضياع اخرى كثيرة بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر»[3].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لزهده في الدنيا يأخذ نفقته ونفقة عياله من هذه الأموال ويصرف الباقي في وجوه البر، كما قال عمر: «فما فضل عن نفقة أهله ردّها على فقراء المهاجرين»[4] وهذا لا يعني انّه صلى الله عليه وآله تخلّى عن أمواله وجعلها صدقة وحكم بعدم ارث ذويه من تركته كما استغلّ

١- تاريخ المدينة لابن شبة ١: ١٩٩.

٢- صحيح البخاري ٨: ١٤٩.

٣- شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ١٤٧.

٤- فتح القدير للشوكاني ٥: ١٩٩.

المتغلّبون ذلك وصوّروه بصورة رواية لم يسمعها عنه صلى الله عليه وآله غيرهم.

وهذا هو الذي أرسلت أزواج النبي صلى الله عليه وآله عثمان لأبي بكر يسألنه ثُمنهنّ مما أفاء الله على رسوله، فردّتهنّ عائشة محتجة بهذا الحديث[1] فحديث لم تعلم به الزهراء عليها السلام العزيزة على أبيها، وكذلك الأزواج بما فيهنّ أم سلمة، وكذلك عليّ وغيره من بني هاشم والصحابة, مع مخالفته لنص القرآن بالتوارث حتى بين الأنبياء عليهم السلام، ثم علم به أبو بكر فقط - إذ الرواية تنحصر به - لا أدري من أين جاء ؟! وكان الأحرى أن يخبرهم النبي صلى الله عليه وآله بانّه لا يورث حتى لا يطلبوا باطلاً.

٢- «**فشحّت عليها نفوس قوم**» يشير الإمام عليه السلام بقوله هذا إلى انّ وراء هذا الظاهر المشاهد من انتساب حديث لم يروه أحد غير أبي بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله، والتظاهر بالدفاع عن حقوق المستضعفين بانّ هذا المال حق لهم، يشير عليه السلام إلى انّ وراء كل هذا أمر آخر، وهو انّ نفوساً طمعت في فدك وغيرها من تركة الرسول صلى الله عليه وآله لتبقى العترة الطاهرة محتاجة إلى السلطة من جهة، ومن جهة ثانية إطفاء الرصيد المالي لهم كي لا يستميلوا قلوب العشائر وغيرهم بالمال - بحسب زعمهم الدنيوي - وكي لا يتكرّر التاريخ مرّة ثانية، وتأتي أموال الزهراء عليها السلام لدعم موقف علي عليه السلام ونصرته على اعدائه ومناوئيه، كما دعمت خديجة سلام الله عليها رسول الله صلى الله عليه وآله بمالها.

١- فتح القدير للشوكاني ٥: ٢٤.

ويؤيّده ما رواه الطبراني في المعجم الاوسط عن عمر قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جئت أنا وأبو بكر إلى علي، فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله وبما ترك، قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر، قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك، قلت: أما والله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا والعذرات[1].

ولذا لمّا أمن الخليفة الثاني من أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم انّه لا يشكل خطراً على السلطة بعد، ردّ عليه تركة الرسول مما أفاء الله عليه وسهمه من خيبر، وذلك بعد سنتين من حكومته، يدلّ عليه قوله مخاطباً لعلي والعباس: «فقبضتها سنتين من امارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وما عمل فيها أبو بكر... فلما بدا لي أن أدفعه إليكما على انّ عليكما عهد الله وميثاقه، فتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها»[2].

هذه الرواية الصحيحة عند القوم تعطينا مؤشرات جميلة تدلّ على ما نقصده، فلماذا أبو بكر لم يأخذ العهود على عليّ والزهراء عليهما السلام أن يعملا فيها بما كان يعمل بها رسول الله صلى الله عليه وآله رغم المطالبة من قبلهما واقامة الشهود والاستدلال بالآيات؟! ولماذا تنازل عمر وأعطاها لعلي عليه السلام والعباس. ولا أدري هل الأمر مجرد أهواء وآراء شخصية،

١- المعجم الأوسط للطبراني ٥: ٢٨٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٤٠.

٢- صحيح البخاري ٤: ٨١ .

فتارة يبدو لهم فيحجبوا وتارة يبدو لهم فيمنحوا، أم هناك نصوص مزعومة اعتمدوا عليها؟!

ومع هذا فرواية صحيح مسلم المتضمنة لنفس الحدث - وهو مخاصمة علي والعباس عند عمر – تضيف عليه تصريح عمر بانّ علياً والعباس وسائر بني هاشم – لانّهما سادة بني هاشم ويمثلان رأي الجميع، لانّ بني هاشم لم تبايع الّا بعد مبايعة علي عليه السلام - كانا يعتقدان بعدم شرعية هذا العمل، وانّه ظلم واثم وخيانة، بل يعتقدان كذب المدعي في دعواه، فقد قال عمر: فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما نورث ما تركنا صدقة» فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم انّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وولي أبو بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم انّي لصادق بار راشد تابع للحق»[1].

نحن نأخذ من هذا النص الصحيح عند القوم، اعتراف عمر بن الخطاب باعتقاد علي عليه السلام وعدم شرعية ما فعلاه، وندع دعواه لنفسه ولأبي بكر بالصدق والرشاد، ونلتزم بما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله: «**أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم**»[2] فنحن نقتدي بعلي، وليقتد غيرنا بمن يحب.

١- صحيح مسلم ٥: ١٥٢.

٢- الشفا للقاضي عياض ٢: ٥٣، تفسير الرازي ٢: ٥، الكشاف للزمخشري ٢: ٤٢٤، تحفة الاحوذي للمباركفوري ١٠: ١٥٥.

٣- «وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله» لما رأى أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام شدّة المؤامرة، تركا الأمر إذ لا حيلة سوى الشكوى إلى الله تعالى، وتبيين الحق مهما أمكن كي لا تخفى الحقيقة، وهذا ما اعترف به عمر نفسه كما ورد في صحاح القوم.

أما لماذا لم يسترجع أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا آلت إليه الخلافة، **فأوّلاً** انّه عليه السلام أصبح خليفة وبيده بيت المال، فلاحاجة له بها ولا تسدّ شيئاً من نفقات الحكومة إذ لو كانت بيده لأوقفها للمسلمين كما أوقف سائر ضياعه وممتلكاته، ولم يدخر لنفسه شيئاً، كما كان يحلف ويقول عليه السلام: «فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً... بلى كانت في أيدينا فدك... وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانّها في غد جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها...»[1].

وثانياً: جرى المسلمون على انّها صدقة، وانّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يورث، وكان من أهمّ أسباب نقمة المسلمين على عثمان انّه أقطع فدك لمروان، قال ابن قتيبة في المعارف: «وكان مما نقموا على عثمان انّه... أقطع مروان فدك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

فكيف يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه ولأولاد فاطمة، والأعداء يتربصون به الدوائر، وهو عليه السلام لم يتمكن من تصحيح البدع المحدثة آنذاك

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المعارف: ١٩٥، وانظر تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٨، والعقد الفريد ٤: ٢٨٣.

من صلاة التراويح، والمنع عن المتعتين، والتكتّف في الصلاة وغيرها، فكيف بهذه وهي حالة شخصية يكون الانسان في مظنّة التهمة، هذا ما لا يعمله المحنّك في السياسة، إذ كان هدف أمير المؤمنين عليه السلام الوحيد آنذاك تعبئة الأمة أمام الفتن الداخلية، فلذا ترى انّ جيشه كان يضمّ الخوارج، وقتلة عثمان، والناقمين على القتلة، وضعفاء الإيمان، وغيرهم من شرائح الناس.

فقد ورد في نهج البلاغة انّ قوماً من الصحابة قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب على عثمان، فأجابهم عليه السلام بجواب مقنع، فمما قاله: «وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه... فاهدأوا عنّي وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتسقط مُنّة، وتورث وهناً وذلة»[1].

ويقول عليه السلام في نص آخر: «**قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين خلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها، و إلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّقت عنّي جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض امامتي من كتاب الله عزوجل وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله**»[2].

وثالثاً: قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه الاقتصاد: «وفي أصحابنا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٨.

٢- الكافي ٨: ٥٨، البحار ٣٤: ١٧٢.

من قال: انّ الخصم في فدك كانت فاطمة عليها السلام، وأوصت إلى علي عليه السلام بأن لا يتكلّم فيها، لتكون هي المخاصمة يوم القيامة لما جرى بينها وبين من دفعها من الكلام المعروف، حتى قالت له: سيجمعني وإياك يوم يكون فيه فصل الخطاب»[1].

ورابعاً: ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام عن سبب ذلك: «**لانّا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممّن ظلمنا إلّا هو** – يعني الله عزوجل – **ونحن أولياء المؤمنين، انّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا**»[2].

ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين الآنف الذكر حيث قال بعد ذكر طمع القوم في فدك: «**ونعم الحكم الله**» أي انّ الله تعالى هو الذي سيحكم فيها غداً.

٤- مساعدة السلطة:

كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يستنقصه، وممّا ذكره أمر بيعته لأبي بكر، فأجابه عليه السلام قائلاً: «وقلت انّي كنت أُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك

١- الاقتصاد: ٢١٤.

٢- علل الشرائع للصدوق ١: ١٥٥، والبحار ٢٩: ٣٩٦.

قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها»[1].

وقال عليه السلام: «فنظرت فإذا ليس لي معين ألّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم»[2].

تدلّ هذه النصوص على عدّة أمور:

١- انّ أمير المؤمنين عليه السلام امتنع عن البيعة رغم ما لاقى من الأذى، وهو في مقامه ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أدري لماذا هذه القسوة معه؟! لم لا يُترك كما تُرك سعد بن عبادة حينما امتنع عن البيعة؟ نعم كل ما جرى من ظلم وضغط وكبت على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى بيته الشريف وزوجته الطاهرة، انّما كان لأجل أخذ البيعة منه قسراً حتى يقولوا للناس انّ علياً بايع وتنازل عن حقه المخصوص به بنص الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى أخذ الحجية والشرعية من مبايعته، وتمويه مسألة النص، وافراغ حديث الغدير وغيره من النصوص من محتواها الحقيقي في النص على عليّ عليه السلام.

وحديث عدم المبايعة ثابت في صحاح القوم، فقد ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم انّ علياً عليه السلام لم يبايع إلى أن توفيت الزهراء عليها السلام[3].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٦.

٣- صحيح البخاري ٥: ٨٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٤.

٢- انّه عليه السلام واجه محاربة سياسية من قبل السلطة أدّت إلى تفرّق الناس من حوله، فلم يبق معه إلّا أهل بيته، حتى انّه عليه السلام استنكر وجوه الناس بعدما توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام كما في البخاري ومسلم[١] ومعنى هذا انّ المسلمين تركوا مجالسته ومصاحبته وزيارته والسلام عليه، سبحان الله!! أكلّ هذا لعليّ عليه السلام وهو هو، فأين حديث الغدير الثابت المتواتر؟ أليس زعموا انّه لا يدل على النص بل يدل على المحبة والنصرة؟ فأين هذه المحبة والنصرة؟.

وكان في ضمن مسلسل الانقلاب السياسي بث الدعاية ضدّ البيت العلوي، وكشاهد لذلك لّما جاءه أبو سفيان والعباس ليبايعاه بالخلافة، أشار عليه السلام إلى الفتن المحدقة، وانّ الوقت لا يسمح بذلك، ثم قال: «فان أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت»[٢] فجعلوه عليه السلام بين سندان الحرص ومطرقة الجزع، حيث لا ينفع سوى الصبر والورع.

٣- انّه عليه السلام بعدما رأى تهديد كيان الإسلام والخطر الحقيقي على بيضة الإسلام، انبرى للدفاع وساعد القوم بكل ما عنده، إذ هو القائل: **«والله لاسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصّة»**[٣].

١- صحيح البخاري ٥: ٨٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٤.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٣.

- ٣ -

علي عليه السلام والإمامة

انّ الأساس الذي نعتمد عليه في فهمنا للكون والخلقة والرسالة والإمامة، يعتمد على انّ الله تعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، ولهذا الإنسان حوائج معنوية ومادية معاً، وباشباعهما يصل الإنسان إلى أعلى المراتب ويتحقق هدف الخلقة. ومن أهمّ هذه الحوائج نيل السعادة في الدارين، ولا يخفى انّ الوصول إلى هذه السعادة صعب المنال، ويحتاج إلى برنامج واسع وشامل لجميع أبعاد الإنسان سواء المعنوية أم المادية، وسواء عرفها الإنسان وانتبه إليها أم لا.

ومن البديهي أن لا يتمكن أيّ شخص رسم هكذا برنامج شامل لنفسه أو لغيره، لأنّه فرع معرفته بجميع أبعاد وجود الإنسان وحوائجه، وما لم تشبع هذه الحوائج ولم تتحقق بصورة صحيحة لن يصل الإنسان إلى السعادة.

نعتقد انّ الدين والشرع الإلهي هو القادر على رسم هذا البرنامج الشامل، وهو المتكفّل لإيصال الإنسان إلى السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة، وهذا ما تحمّل أعباءه الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ونعتقد أيضاً انّ الإمامة امتداد للنبوة، إذ انّ الشريعة الخاتمة بعد

رحيل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله بحاجة إلى من يحافظ عليها ويدافع عنها، ويتكفل نشرها والتبليغ لها إلى قيام الساعة إذ لا نبوّة ولا شريعة بعد، وهذا ما أكّد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في الحين بعد الحين وفي مرّات عديدة، وقال فيما قال: **«انّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»**.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في مواطن كثيرة، فقد قال عليه السلام: **«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدو فالبدو، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»**[1].

وقال عليه السلام أيضاً: **«ألا انّ مثل آل محمد كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم»**[2].

وقال عليه السلام: **«نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة»**[3].

وقال عليه السلام: **«نحن النمرقة الوسطى، بنا يلحق التالي وإليها يرجع الغالي»**[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٤.

هذا الأمر لم يكن مفهوماً للعرب والصحابة حينذاك، بل كثير منهم فهم النبوة على انّها ملك وامارة فضلاً عن الإمامة، وهذا ما ظهر على لسان أبي سفيان حيث قال للعباس بعدما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة: «لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً» فرد عليه العباس قائلاً: «انّها النبوة وليس الملك يا أبا سفيان»[1].

ويؤيّده قول الرسول صلى الله عليه وآله لبني عامر بن صعصعة لما عرض عليهم الدعوة، وطلبوا منه أن يكون الأمر لهم من بعده إن ساعدوه ونجحت الدعوة، فقال صلى الله عليه وآله: **«الأمر لله يضعه حيث يشاء»**[2].

هذا الفهم الخاطئ زائداً المؤامرات التي حيكت آنذاك، هو الذي حال دون فهم مسألة النص بالشكل الصحيح الذي كان يريده رسول الله صلى الله عليه وآله، وحتى حاول ترسيخ ذلك قبيل رحيله ولكن جوبه بقساوة وفظاظة، ونُسب إلى الهجر وغلبة الوجع والعياذ بالله.

انّ مسألة النص على الإمامة لم تكن بالهوينى حتى يتخلّى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال الله تعالى له: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3]، وهذا ما بلّغه وأشار إليه في عشرات الموارد، آخرها حديث الغدير المتواتر الثابت.

١- السيرة لابن هشام ٤: ٣٤.

٢- البداية والنهاية لابن كثير ٣: ١٧١.

٣- المائدة: ٦٧.

إذن كيف يكون موقف أمير المؤمنين عليه السلام حيال النص عليه بالإمامة؟! فهو من جهة حوصر مالياً فأخذت منه فدك ومنع من إرث الرسول صلى الله عليه وآله وتركته، ومن جهة ثانية حورب ببثّ الدعايات ضدّه حتى انّه استنكر وجوه الناس[1]، وقال عليه السلام: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم»[2]، حيث يدل النص على انّهم كانوا على مظنة القتل.

ويقول في مكان آخر، ويصوّر الإعلام المسموم ضده آنذاك: **«فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت»**[3].

ومع ذلك فانّه عليه السلام لم يسكت عن الطلب بالإمامة – كما سنذكر – ولكن لكل مقام مقال، ولكل زمان وَضْعه الخاص، فربما الاصرار على شيء وإن كان حقاً أعطى عكس النتيجة إذ انّ المشروع الإلهي جاء للنجاح لا للفشل وجاء للحياة لا للموت، كما نرى في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله انّه تدرّج في دعوته واغتنم الفرص، فحارب تارة وهادن أخرى، وقتل تارة وعفى في أخرى بحسب المصلحة.

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ساكتاً عن الطلب بحقه، فتارة

١- صحيح البخاري ٥: ٨٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٤.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥.

كان يظهر أحقيّته ويقول عليه السلام: «**فـوالله مـا زلـت مـدفوعاً عـن حقّـي، مستأثراً عليّ منذ قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم النـاس هـذا**»[1]، وقال عليه السلام في جواب من اتهمه بالحرص على الملك: «**انّما طلبت حقـاً لي وأنتم تحولون بيني وبينـه، وتـضربون وجهـي دونـه... اللـهم انّـي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هـو لـي...**»[2]، وقـال عليه السلام: «**لقـد علمتم انّي أحق بها من غيري...**»[3].

وقال عليه السلام وهو يذكر قريشاً: «**وأجمعوا على منـازعتي حقـاً كنـت أولى به من غيري**»[4]، وقال عليه السلام: «**فلما مـضى صلى الله عليه وآله تنـازع المـسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي انّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيتـه، ولا انّهـم منحّـوه عنّـي مـن بعده**»[5]، وقال عليه السلام: «**لنا حق فان اعطيناه وإلّا ركبنا أعجاز الابل وإن طال السرى**»[6].

وقال عليه السلام - على ما ورد في صحاح القوم -: «**كنّا نرى لنا في هذا**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٢.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦١.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٨.

الأمر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا»[1]، قاله عليه السلام قبل أن يبايع القوم، ممّا يدلّل على تضجّره ممّا حدث، طبعاً هذا ما وصل الينا عنهم بعد تمحيصه وغربلته واضافة ما يروقهم على أصل الحدث من قبيل قوله عليه السلام لأبي بكر – في نفس الرواية –: «انّا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله اليك» وهذا لم يصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام قطعاً، وإلّا لو كان يعتقد انّ الله تعالى هو الذي أعطاه هذا المنصب، فلماذا تأخّر عن البيعة ستة أشهر، ولماذا استعمل كلمة: «الاستبداد بالأمر» ولماذا وجد في نفسه من ذلك؟!

وتارة أخرى كان عليه السلام يصرّح بمسألة الوصاية والوراثة والوزارة، فيقول: **«لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد هم أساس الدين، وعماد اليقين، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة»**[2].

وقال عليه السلام: **«فياعجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصي»**[3]، وقال عليه السلام: **«انّ الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»**[4]،

١- صحيح البخاري ٥: ٨٣، صحيح مسلم ٥: ١٥٥.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٧ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٤.

وقال عليه السلام عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في قضية بدء نزول الوحي: «**انّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلّا انّك لست بنبيّ ولكنّك وزير**»[1]، وقال عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «**أرى تراثي نهباً**»[2].

وأخرى يقول عليه السلام: «**فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق... فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امّي**»[3].

ورابعة يظهر انّه ظُلم في هذا الأمر، ويقول لمعاوية لما عيّره بانّه كان يجرّ كالجمل المخشوش لأخذ البيعة: «**وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه**»[4].

وخامسة يعرّض بانحراف الناس آنذاك ويقول وهو خليفة المسلمين: «**وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة، كنتم فيها عندي غير محمودين**»[5].

وسادسة يحتج عليه السلام بقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول لما سئل: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال عليه السلام: «**أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرسول**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٦.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٨.

نوطاً، فانّها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»[1]، وقال عليه السلام: **«ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وانّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي فأمررتها على وجهي، ولقد ولّيت غسله والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلّون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به منّي حياً وميتاً»**[2]، ويقول: **«ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم»**[3].

وسابعة يذكر الانقلاب السياسي الذي حدث عقيب رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: **«حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه»**[4].

وأخيراً يعلّق عليه السلام على مؤتمر السقيفة ويقول: **«أما والله لقد تقمّصها فلان، وانّه ليعلم انّ محلّي منها محلّ القطب من الرحا، ينحدر**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٧.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٠.

عنّي السيل ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت انّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً...»[1].

وقال عليه السلام لما انتهت إليه أخبار السقيفة: «**ما قالت الأنصار؟**» قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: «**فهلا احتججتم عليهم بانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يُحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟**» قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: «**لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم**»، ثم قال: «**فماذا قالت قريش؟**» قالوا: احتجت بانّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: «**احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»[2].

وقال عليه السلام: «**واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة**» وروي له شعر في هذا المعنى وهو:

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم
فكيف بهذا والمشيرون غيّب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبي وأقرب[3]

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٦.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٨٠.

فهذه أساليب مطالبة الإمام عليه السلام بحقه، وإظهار تضجّره عمّا مضى، والتصريح أو التعريض بمسألة الإمامة، وقد أدلى بها بحسب الظروف وما تفرضه المصلحة.

ومجرد هذه المطالبة – مع زهده الشديد في الدنيا وما يتعلق بها، وعدم رغبته فيها كما سيأتي بيانه – لخير دليل على وجود نص والزام بالنسبة له من قبل النبي صلى الله عليه وآله وإلّا لألقى حبلها على غاربها، ولسقى آخرها بكأس أوّلها، فهو عليه السلام طالب بالحق تارة بعمله وسلوكه حينما تأخّر عن البيعة لستة أشهر - كما في الصحاح – وتارة أخرى بكلامه كما مضى، ولو وجد ذوي عزم لكان له مع القوم شأن آخر.

فسلوك أمير المؤمنين عليه السلام حجة لنا، إذ انّه ميزان الحق، وإمام مفترض الطاعة ومعصوم عندنا، وأما عند أهل السنة فهو رابع الخلفاء الراشدين الذين يجب الاهتداء بهديهم وسنتهم، وهو من الصحابة الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وآله **«أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»** وهو الذي مودته إيمان وبغضه نفاق[1]، وهو المتوسّم بوسام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهو من العترة الذين أمرنا بالتمسك بهم كي لا نضلّ، وهو وهو...، إذاً تصريحه بالنص حجة كما سكوته لظروف تحيط به حجة أيضاً، ولا يدلّ سكوته عن النص في فترة على عدم وجوده.

١- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٣٣ ح ١٣١.

وهو عليه السلام يشير إلى هذا الأمر بطرف خفيّ في جواب العباس وأبي سفيان لما جاءا ليبايعاه بعد رحيل نبي الأمة صلى الله عليه وآله، فقال لهما: «**ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه**»[1] وقال عليه السلام في مكان آخر: «**انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا**»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٦.

- ٤ -

علي عليه السلام والخلفاء

١- أبو بكر:

عاش أمير المؤمنين عليه السلام منذ رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في ظروف قاسية ومحنة شديدة، فمن جهة كان عليه الاجهار بالنص والمطالبة بالحق، ومن جهة ثانية رأى انّ راجعة الناس قد رجعت وانّ النص ترك، وانّ وصايا الرسول بالعترة والآل نبذت: فدك تؤخذ، بيت الرسالة يهدّد، عليّ يقاد للبيعة، و...، ومن جهة ثالثة يرى نشاط المنافقين لمحق الدين، زائداً تربص الكفار من خارج القطر الإسلامي، هذه المناظر كلها بمرأى ومسمع أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا لابدّ من اتخاذ القرار الصحيح.

وكان من جملة ما اتخذه عليه السلام المقاطعة ورفض البيعة والمشاركة أوّلاً، يدلّ عليه جواب أمير المؤمنين لمعاوية لـمّا عيّره بعدم المبايعة: **«وقلت: انّي كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً...»**[1].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٨.

وقال عليه السلام: **«فما راعني الّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي...»**[1].

وهذه المقاطعة أدّت إلى تخلّف الناس عنه حتى بقي عليه السلام وحده، كما قال: **«فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم»**[2]، ويقول أيضاً في الخطبة الشقشقية: **«فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها المؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت انّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا»**[3].

هذه المقاطعة من علي والبيت الهاشمي وهم ساسة العباد، زائداً عدم قدرة القوم على ضبط الأمور بحنكة وكفاءة، أدّت إلى استغلال الوضع من قبل الكفار من خارج القطر الإسلامي، والمنافقين من داخله، فهنا نهض أمير المؤمنين عليه السلام للحفاظ على بيضة الإسلام، كما قال عليه السلام: **«حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

إلى محق دين محمدﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي انّما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان كما يـزول الـسراب، أو كمـا يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتنهنه»[1].

وذلك لانّه عليه السلام كان أحرص على حفظ الإسلام وحفظ المسلمين من التمزق من غيره، كما كتب عليه السلام لأبي موسـى الأشـعري: **«ولـيس رجل – فاعلم – أحرص على جماعة امة محمدﷺ وألفتها منّي، أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب، وسأفي بالذي وأيت على نفسي»**[2].

٢- عمر بن الخطاب:

كانت فترة خلافة أبي بكر قصيرة، وقد عهد إلى عمر رغم اعتراض بعض الصحابة، فكان الأمر علـى أمـير المـؤمنين عليه السلام أشـد وأصـعب، وهو يصف تلك البرهة بقوله: **«فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلْمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتـذار منهـا، فـصاحبها كراكـب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، فصبرت علـى طـول المـدة، وشـدّة**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٨.

المحنة»[1].

هذه الأوصاف يصدّقها التاريخ، أما بالنسبة إلى غلظة عمر وفضاضته، فقبل إسلامه ما صدر منه من إيذاء المسلمين حتى يتركوا دينهم، كما فعل باخته وختنه حيث أدمى رأسه لإسلامه[2]، وكما ضرب جارية حتى ملّ من ضربها[3].

وقالت أم عبد الله بنت أبي حثمة في حقه: كنّا نلقى منه البلاء أذى وشدة علينا، حتى انّها وزوجها كانا قد أيسا من إسلامه لقسوته وغلظته على أهل الإسلام[4].

أما بعد اسلامه وفي زمن النبي صلى الله عليه وآله ما حدث منه في صلح الحديبية من المحاولة لنقض مصالحة النبي صلى الله عليه وآله حيث صرّح هو وقال: «فعملت في ذلك أعمالاً – يعني في نقض الصحيفة-»[5] وما صدر من ضرب أبي هريرة حتى خرّ لاسته[6]، وما صدر من شنيع قوله عند مرض النبي صلى الله عليه وآله واتهامه بغلبة الوجع والهجر – والعياذ

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٢- أُسد الغابة ٥: ٥١٩.

٣- السيرة لابن هشام ١: ٢١١.

٤- المصدر نفسه ١: ٢٢٩، الكامل في التاريخ ٢: ٨٤ .

٥- صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤.

٦- صحيح مسلم ١: ٤٤.

بالله - [1].

أما بعد رسول الله ﷺ فما صدر منه من التهديد لمن قال بموته ﷺ، وقد قال ابن أبي الحديد: «وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر ورقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين وأخرجهم منها»[2] وقال أيضاً: «وأول من ضرب عمر بالدرة امّ فروة بنت أبي قحافة، مات أبو بكر فناح النساء عليه وفيهنّ أم فروة، فنهاهنّ عمر مراراً وهنّ يعاودن، فأخرج أُم فروة من بينهنّ وعلاها بالدرّة، فهربن وتفرّقن»[3] حتى كان يقال: درّة عمر أهيب من سيف

١- ربما يقال: انّ الذي ذكره عمر لم يكن فيه نسبة الهجر إلى النبي ﷺ، والثابت في الصحاح غيره، كما ورد في الصحاح من استعمال كلمة «قالوا» [راجع البخاري ٤: ٦٦، ومسلم ٥: ٧٥، ٧٦] ولكن أقول: هذا دفاع عليل إذ أولاً مفاد الجملتين واحد، وثانياً يكفينا تصحيح ابن تيمية لاتهام عمر النبي ﷺ بالهجر، فقد قال في مقام الدفاع عنه: «ولهذا قال: ما له أهجر» [منهاج السنة ٦: ٢٤] وقال في مكان آخر: «فلما كان يوم الخميس همّ أن يكتب كتاباً، فقال عمر: ماله أهجر» [المصدر نفسه ٦: ٣١٥].

٢- شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٧٤.

٣- المصدر نفسه ١: ١٨١.

الحجاج[1].

وقال الأوزاعي: «بلغني انّ عمر سمع صوت بكاء في بيت، فدخل معه غيره فأمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، فعدل الرجل فقال: اضرب فانّها نائحة ولا حرمة لها...»[2] ورأى عمر ناساً يتبعون أُبيّ بن كعب، فرفع عليه الدرة فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله، قال: فما هذه الجموع خلفك يابن كعب، أما علمت انّها فتنة للمتبوع، مذلّة للتابع[3].

هذا بالنسبة إلى غلظته، أما بالنسبة إلى سائر الأمور، فقد قال ابن أبي الحديد: «وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه، قضى في الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة»[4].

وقال أيضاً : «روى مالك عن نافع عن ابن عمر: انّ عمر تعلّم سورة البقرة في اثنتي عشر سنة، فلما ختمها نحر جزوراً»[5] وهكذا قوله: «كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال» وقوله: «لولا عليّ لهلك عمر» في مسائل كثيرة أخطأ فيها أو احتار في حلّها فالتجأ إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

١- شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٨١.
٢- تاريخ المدينة لابن شبة ٣: ٧٩٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٢: ٦٨.
٣- شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢: ٦٨.
٤- المصدر نفسه ١: ١٨١.
٥- المصدر نفسه ١٢: ٦٦.

ومن تلك المسائل ما جاء في نهج البلاغة من انّه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي، فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **«انّ القرآن أُنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقرّه الله ورسوله»** فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله[1].

وأشار عليه السلام على عمر بعدم الخروج إلى حرب الروم، لعلمه عليه السلام بسابقة الرجل في الحروب في عهد النبي صلى الله عليه وآله، لذا قال له: **«انّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم»**[2].

وفي حادثة ثانية عندما تجهز الفرس لحرب المسلمين وكانوا كثيرين، نهى أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام عمر عن الخروج وقال له: « **إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، وهو دين الله الّذي أظهره،**

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٦١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٤.

وجنده الّذي أعدّه وأمدّه، حتّى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعودٍ من الله، والله منجزٌ وعده، وناصرٌ جنده.

ومكان القيّم بالأمر مكان النّظام من الخرز يجمعه ويضمّه، فإن انقطع النّظام تفرّق وذهب، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطباً، واستدر الرّحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتّى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك. إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك، وطمعهم فيك.

فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأمّا ما ذكرت من عددهم، فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنّما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة!»[1].

وهذا النص الشريف يفيد عدّة أمور:

١- إدلاء النصيحة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام كانت للحفاظ على بيضة الإسلام، ولا تدلّ على صلات وديّة، كما انّه عليه السلام ساعد عثمان كثيراً، مع ما كان بينهما من تباعد بيّن.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٦.

٢- يظهر من رواية الشيخ المفيد رحمه الله للحدث في كتاب الإرشاد[١]، انّ عمر لما سمع استعداد الفرس للهجوم على المسلمين فزع فزعاً شديداً واحتار في أمره، فاستشار الصحابة فأشار عليه أمير المؤمنين عليه السلام بالبقاء وعدم الخروج، فطمأنه وصبّره وأذهب روعته، وذكر له بانّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، وانّ الله تعالى أقدر على تغيير ما يريد.

٣- كان هناك خطر آخر يحيط بالاسلام، وهو الأعداء والمنافقون من داخل القطر الإسلامي، فلذا قال له: «**فانّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى تكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك**».

٤- أما الأوصاف التي وردت في كلامه عليه السلام من قبيل: «**ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز...**» هي أوصاف عامة للحاكم الذي يدير أمور البلاد براً كان أو فاجراً، ولا تدل على مدح أو ذمّ أو أيّ شيء آخر، وهي كما قال عليه السلام: «**لابدّ للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر...**»[٢]. فهذه وتلك أوصاف للدور السياسي والاجتماعي الذي يقوم به الحاكم أياً من كان، كما ذكر هو عليه السلام عن نفسه لما طلب منه المسلمون الخروج للقتال في زمن

١- الإرشاد ١: ٢٠٩.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٠.

خلافته: «**انّما أنا قطب الرحا تدور عليّ وأنا بمكاني، فإذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها**»[1] فالمراد بقوله: «**أنا قطب الرحا**» الأنا العرفي أي الحاكم أياً من كان سواء أكانت له أهلية الحكم أم لم تكن.

أما ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من ابتلاء الناس في زمن عمر بن الخطاب بخبط وشماس وتلون واعتراض فهو أمر صحيح، حتى انّ الناس تعبوا في اخريات خلافته وبدأوا بالتفكر في البديل، ولما وصلت أخبار هؤلاء الجماعة إلى عمر – وهو في موسم الحج – غضب غضباً شديداً بحيث أراد أن يخطب الناس في نفس المكان ويحذّرهم ويتوعدهم، فقد جاء في صحيح البخاري انّ عبد الرحمن قال لعمر وهو في الموسم آخر حجة حجها: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال: انّي إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم... فلا يغترنّ امرؤ أن يقول: انّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وانّها قد كانت كذلك ولكن وقى الله شرها... من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّه أن يقتلا[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٨.

٢- صحيح البخاري ٨: ٢٥.

فانّ هذا النص فيه مداليل كثيرة تصوّر لنا حالة الناس آنذاك، منها وجود معارضة – عدا البيت الهاشمي – ومنها انّ لهؤلاء عمل وتنظيم ووسائل اعلام بحيث أزعجت الخليفة، وأراد أن يتكلّم في نفس الموسم لولا انّ عبد الرحمن نهاه عن ذلك، فأجّل خطبته إلى المدينة وذكر فيها أخبار السقيفة وما حصل، ممّا يدلّل على تشابه الموقف من حيث الفوضى، والّا فأيّ فائدة في ذكر أخبار مضت عليها أعوام، ومنها بدء تفكر الخليفة بمسألة الشورى إلى غيرها من المداليل.

وأخيراً يبقى الجدال قائماً حول ما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من قوله في نهج البلاغة: «**لله بلاد فلان، فلقد قوّم الأود، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلّف الفتنة، ذهب نقيّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعّبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي**»[1].

وهنا وقع الخلاف بين الشرّاح في المعنيّ بهذا الكلام، فذهب ابن أبي الحديد إلى انّه أراد به عمر بن الخطاب، ومال ابن ميثم إلى إرادة أبي بكر، وقال الراوندي انّه أراد به بعض أصحابه كمالك الأشتر، وذهب المحقق التستري إلى انّه كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، إذ انّنا لا نعتقد بصحة جميع ما هو بين دفتي نهج البلاغة، وليس لنا كتاب صحيح من أوله إلى آخره إلّا القرآن، والباقي يخضع لموازين النقد والبحث.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٧.

أما المصادر التي روت الحدث ففيها اختلاف، وفي بعضها انّ هذا الكلام قول نائحة عمر، حيث قال عليه السلام في آخره: «والله ما قالت ولكن قوّلت» ممّا يدلّل على وجود ضغط وكبت سياسي آنذاك حتى على نائحة عمر، والّا فهو موضوع على لسان الإمام عليه السلام قطعاً، فكيف يقول الإمام انّ عمر أو أبو بكر «أقام السنة» وقد رفض عليه السلام الخلافة لما سيقت إليه يوم الشورى، ولم يقبلها للاشتراط عليه بالعمل بسيرة الشيخين وسنتهما؟! فلو أقاماها بالنحو الصحيح لقبل عليه السلام ذلك وصار هو الخليفة الثالث مكان عثمان، هذا عدا جانب الضعف السندي.

وكذلك ما نُسب إليه عليه السلام من قوله: «**فوليهم وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه**» حيث زعموا انّ المشار إليه هو عمر بن الخطاب، فنقول أوّلاً: انّ الخطبة الشقشقية أقوى سنداً من هذا الكلام، وقد أشار عليه السلام هناك إلى ابتلاء الناس في تلك الفترة بالتلوّن والخبط والشدّة، فكيف يقول هنا: «أقام واستقام وضرب الدين بجرانه» مع كثرة أخطائه الفقهية والسياسية؟! وثانياً: لو سلّمنا الصحة فانّ الفخر والمدح في الاستقامة الحاصلة آنذاك كانت لأمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يألُ جهداً في تصحيح الأخطاء، والدفاع عن حوزة الدين.

٣- عثمان بن عفان:

أما عثمان فقد تسلّم دفة الحكم نتيجة صراع سياسي قبلي بين أهل الشورى – عدا أمير المؤمنين عليه السلام - الذين انتخبهم عمر بن الخطاب

ليختـاروا مـن بيـنهم إمامـاً وحاكمـاً للنـاس، وفي ذلـك يقـول أمـير المؤمنين عليه السلام: «**حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم انّي أحدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتـى صـرت أُقرن إلى هذه النظائر، لكنّني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ**»[1].

طبعاً كانت النتيجة معلومة لأمير المؤمنين عليه السلام من قبل، فقـد قـال لعمّه العباس: «**عُدل بالأمر عنّي يا عم**»، قال: وما علمك؟ قال: «**قُرن بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثـر، فـان رضـي رجـلان رجـلاً ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن، فـسعد لا يخـالف ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان، فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم يغنيا شيئاً**»[2].

وكان كما تفرّس أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنتجت مهزلة الـشورى خلافة عثمان، وأبو طلحـة الأنـصاري واقـف مـع خمـسين رجـلاً مـن الأنـصار يحملـون سـيوفهم ليـضربوا عنـق مـن يخـالف[3]، وأمـير المؤمنين عليه السلام يناشد القوم بفضائله وسابقته، ولكن هل من مجيب؟!

قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: «**إلى أن قـام ثالـث القـوم نافجـاً**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٢- شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٩١.

٣- المصدر نفسه ١: ١٨٧، تاريخ الطبري ٣: ٢٩٤.

حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنوا أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»[1].

كانت فترة حكومة عثمان فترة عصيبة، يصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **«انّه قد كان على الامة وال أحدث أحداثاً، وأوجد الناس مقالاً، فقالوا ثم نقموا فغيّروا»**[2].

ويقول أيضاً وهو يمدح أهل مصر: **«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه، ودُهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه»**[3].

ويشرح لنا ابن أبي الحديد أسباب نقمة الناس على عثمان ويقول: «انّه أوطأ بني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وافتتحت افريقية في أيامه، فأخذ الخمس كلّه فوهبه لمروان... وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسِيد صِلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم.

وأعاد الحكَم بن أبي العاص، بعد أن كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد سيّره ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم. وتصدّق رسول

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٨.

الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم. وأقطع مروان فدَك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارةً بالميراث، وتارة بالنحلة فدُفِعت عنها.

وحمى المراعي حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلا عن بني أمية. وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب؛ وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلتُ رحمي! قال: لا، ولكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألقِ المفاتيح يابن أرقم؛ فإنّا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أمية، وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه.

وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير

أبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة؛ وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في إقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدي العادية والانتصاب لسياسة الرعيّة، وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين»[1].

هذه الأمور أدّت إلى سخط الناس عليه، فكتب مَنْ بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلى مَن بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرقوا في الثغور: «انّكم خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزوجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وآله فانّ دين محمد قد اُفسد من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد» فأقبلوا من كل افق حتى قتلوه[2].

وكان في مقدمة هؤلاء المعترضين طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أما بعد فانّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه، انّ الناس طعنوا عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما إليه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فاتيح له قوم فقتلوه»**[3].

١- شرح النهج لابن أبي ا لحديد ١: ١٩٨.

٢- تاريخ الطبري ٣: ٤٠٠.

٣- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١.

وقال عليه السلام أيضاً في قتل عثمان: «**لو أمرت به لكنت قائلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير انّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير منّي، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع**»[1].

وكان موقف أمير المؤمنين عليه السلام تجاه عثمان يتلخّص ضمن النقاط التالية:

١- **المناصحة**، وذلك لما اجتمع الناس إليه عليه السلام وشكوا ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه السلام على عثمان وقال له: «**انّ الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمرٍ لا تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيءٍ فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيءٍ فنبلّغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى بعمل الحقّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحمٍ منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا.**

فالله الله في نفسك! فإنّك ـ والله ـ ما تبصّر من عمىً، ولا تعلّم من جهلٍ، وإنّ الطّرق لواضحة، وإنّ أعلام الدّين لقائمة. فاعلم أنّ أفضل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٠.

عباداللّه عند اللّه إمام عادل، هدي وهدى، فأقام سنّةً معلومةً، وأمـات بدعةً مجهولةً، وإنّ السّنن لنيّرة لـها أعلام، وإنّ البدع ظاهرة لـها أعلام، وإنّ شرّ النّاس عند اللّه إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سنّةً مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً. وإنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يـوم القيامة بالإمام الـجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدور الرّحى، ثمّ يرتبط في قعرها.

وإنّي أنشدك اللّه أن تكون إمام هذه الأمّـة الـمقتول، فإنّـه كـان يقال: يقتل في هذه الأمّـة إمـام يفـتح عليهـا القتـل والقتـال إلى يـوم القيامة، ويلبس أمورها عليها ، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرون الـحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجـون فيهـا مرجـاً. فـلا تكـوننّ لـمروان سيّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السّنّ وتقضّي العمر.

فقال له عثـمان: كلّم النّاس في أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالـمهم، فقـال عليه السلام: **ما كان بالـمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»**[1].

وكتب إلى معاوية في أمر عثمـان: «**فـان كـان ذنـبي إليـه ارشـادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له»**[2].

٢- الدفاع عنه، قال عليه السلام لابن عباس لما أرسله عثمان إليـه وهـو

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٤.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

محصور في بيته: «**يا بن عباس، ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب، أقبل وأدبر، بعث اليّ أن أخرج ثم بعث اليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث اليّ أن أخرج، والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً**»[1].

وكتب عليه السلام في جواب معاوية: «**ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله، أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه**»[2].

٣- المعاتبة والسخط، قال عليه السلام في كتاب كتبه إلى أهل الكوفة: «**فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه، وأقلّ عتابه**»[3] وكتب في جواب معاوية: «**وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً**»[4].

٤- التبرء من دمه، قال عليه السلام: «**لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير انّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير منّي، وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٤٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

واقع في المستأثر والجازع»[1].

نعم هذه كانت مواقف أمير المؤمنين عليه السلام النبيلة تجاه عثمان وأحداثه، ولكن ما جزاء عليّ عليه السلام من عثمان أمام كل هذه؟! فانظر إلى ما رواه الزبير بن بكار وابك ألماً، فقد روى عن رجاله عن علي عليه السلام انّه قال:

«أرسل اليّ عثمان في الهاجرة، فتقنّعت بثوبي وأتيته، فدخلت عليه وهو على سريره، وفي يده قضيب، وبين يديه مال دثر: صبرتان من ورق وذهب، فقال: دونك خذ من هذا ما تملأ بطنك فقد أحرقتني، فقلت: وصلتك رحم، إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معط أو اكتسبته من تجارة، كنت أحد رجلين: إما آخذ وأشكر أو أوفّر وأجْهَد، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل، فوالله مالك أن تعطينيه ولا لي أن آخذه، فقال: أبيت والله الّا ما أبيت، ثمّ قام اليّ بالقضيب فضربني، والله ما أردّ يده حتى قضى حاجته، فتقنّعت بثوبي ورجعت إلى منزلي»[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٠.

٢- شرح النهج لابن أبي الحديد ٩: ١٦.

- ٥ -

علي عليه السلام والخلافة

١- البيعة:

بعد تلك السنوات العجاف، تطلّع الناس إلى من ينجيهم من الوضع المأساوي الذي حصل جرّاء خلافة المتقدمين، فاتجهوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، طبعاً لا بمعنى انّه إمام مفترض الطاعة منصوص عليه من قبل النبي صلى الله عليه وآله، بل اتجهوا إليه لتديّنه وعدله وزهده وما كان يمتلكه من صفات فذّة افتقدها غيره، وهو عليه السلام يشير إلى هذا الأمر ويقول: **«انّي اريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم»**[1] أي ليس ثمة اعتراف بالتقصير، ولا اعتراف بالنص، بل حاجة نفسية دعتهم إلى الاتجاه نحوه عليه السلام.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام اقبال الناس إليه وشوقهم لمبايعته وقال: **«فما راعني إلّا والناس إليّ كعرف الضبع، ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وُطئ الحسنان، وشقّ عِطافي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم»**[2] وقال عليه السلام: **«ثم تداككتم عليّ تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت اليها الكعاب»[1]. وقال عليه السلام: **«فأقبلتم اليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون البيعة البيعة...»**[2].

نعم هكذا كان إقبال الناس على أميرالمؤمنين عليه السلام، وفي كل هذا لم نسمع عن النص والإمامة الإلهية شيئاً، ومع كل هذا فهو عليه السلام يمتنع ويقول: **«دعوني والتمسوا غيري.. وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً»**[3] ويقول: **«قبضت كفّي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها»**[4] ويقول: **«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية اربة»**[5] ويقول: **«وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها»**[6].

السبب في رفض الخلافة:

وهنا سؤال يطرح نفسه بجدّ، وكثيراً ما قرأناه في كتب أهل السنة، وسمعناه من أفواههم، وهو انّ أمير المؤمنين عليه السلام لماذا امتنع عن قبول

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٨.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٧.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩١.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٧.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٥.
٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٨.

البيعة إلى أن أُجبر عليها؟! ونقول في الجواب:

١- انّ الأكثرية – كما قلنا – ما اتجهت إلى طلب البيعة بعنوان الإمامة الإلهية، بل أرادوا بيعته بعنوان انّه خليفة، حاله حال سائر الخلفاء الذين بايعوهم، فبيعتهم انّما كانت بيعة دنيوية سياسية، ولم تكن كبيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله على انّه نبي مرسل من قبل الله تعالى، فهنا أيضاً لم تكن البيعة لكونه وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته، يؤيّده ما قاله عليه السلام لهم: **«انّي أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم»**[1].

٢- انّ الزمان قد تغيّر، واختلط الحلال بالحرام، ممّا يصعب معالجته إلّا بعد أجيال، وهو يعلم عليه السلام انّ الامة لا تطيق ذلك، كما أشار إليه بقوله: **«دعوني والتمسوا غيري، فانّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وانّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت، واعلموا انّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أُصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً»**[2].

٣- انّه عليه السلام كان يعلم بانّ المترفين سيعارضون خلافته، فأراد أن يتمّ الحجة عليهم باقبال معظم الناس عليه، ويسدّ عليهم باب الاعتراض، ولذا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩١.

كان يقول عليه السلام: **«لم تكن بيعتكم إياي فلتة»**[1] وهذا ما تحقق بالفعل، فاعترض عليه معاوية وأجابه عليه السلام بقوله: **«انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وانّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فان اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى...»**[2].

فهو عليه السلام يعرّض أولاً ببيعة أبي بكر التي كانت فلتة من دون مشورة، وقد قبلها معاوية وأذعن إليها، فلماذا يتمرّد هنا؟ وثانياً يقول له: انّك قبلت بشورى عمر بن الخطاب، وقد غاب عنها كل المسلمين سوى الستة الذين انتخبهم عمر بن الخطاب، فهناك أيضاً قبلت بالحكم ولم تعترض! وثالثاً انّ خروجك عليّ وعدم الاذعان لخلافتي خروج عن الامة الإسلامية وشق عصاها واعلان الحرب معها.

فهذا النص لا يدل على اقرار مسألة الاختيار في الخلافة من قبل الإمام، بل هو أمر احتجاجي جدلي أورده الإمام عليه السلام لدحض شبه معاوية، ولا علاقة له بمسألة الإمامة الإلهية الثابتة بالأدلة العقلية والنقلية، كما هو مشروح في كتب الكلام.

وبنفس الجواب أجاب عليه السلام طلحة والزبير لما خرجا عليه، فكتب إليهما: «أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما، انّي لم أرد الناس حتى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٩.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦.

أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وانّكما ممّن أرادني وبايعني»[1].

٤- ان الإمامة عندنا – معاشر الشيعة – نيابة وخلافة عن الرسول صلى الله عليه وآله في جميع المراتب سوى تلقي الوحي، والزعامة السياسية أحد أركان الإمامة، وهذا الركن وإن كان ثابتاً للإمام بالنص الإلهي، غير انّ تحققه وتفعيله على أرض الواقع منوط بشرائط مختلفة، إذا اجتمعت كلها وجب على الإمام التصدّي وإلّا فلا، فتفعيل الزعامة السياسية وتطبيقها على أرض الواقع – كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله في أخذ البيعة الأولى في العقبة – أو تركها والتخلّي عنها لظروف خاصة، وقد مرّ ذكر بعضها – كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام – لا يضرّ بثبوتها الإلهي، بل هو أمر منوط – تشخيصه واتخاذ الموقف تجاهه – بالإمام عليه السلام.

ولذا قال عليه السلام بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله إلى الملأ الأعلى لعمه العباس وأبي سفيان لما جاءا للبيعة معه: «**ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه**»[2]، ذاك الموقف كان صحيحاً لقلة الناصر، وهذا الموقف أيضاً صحيح للأسباب التي مرّت، ولكنّه عليه السلام وافق على البيعة لانّ الحجة تمّت، والأسباب الظاهرية تهيّأت، والأبواب قد فتحت، وعليه تم القبول من قبله عليه السلام إذ هو القائل: «**وما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلّا بالله**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥.

عليه توكلت»[1].

وقال عليه السلام: **«اللهم انّك تعلم انّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك... وقد علمتم انّه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الجائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنة فيهلك الامة»**[2].

وقال عليه السلام: **«أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»**[3].

انّ الإمام عليه السلام - كما قال - كان يريدهم الله تعالى، ولتحقيق الإمامة الإلهية على الأرض، ولكنّهم كانوا يريدونه لأنفسهم ولاصلاح أمورهم الدنيوية، وبايعوه على هذا الأساس وهذه الإمارة بهذا الفهم

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

الدنيوي لا قيمة لها عند علي عليه السلام، لذا قال لعبد الله بن عباس لما كان يخصف نعله: «**ما قيمة هذا النعل؟ قال: فقلت: لا قيمة لها، قال: والله لهي أحبّ إليّ من امرتكم الّا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً**»[1]، فعلي عليه السلام يعبّر عنها بقوله: «امرتكم» أي انّ هذا الشأن الدنيوي الذي طلبتموني إليه لا قيمة له عندي إلّا... .

ولهذا السبب نفسه ردّ على الخوارج بقوله: «**انّه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويُجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويُستراح من فاجر**»[2]، فالكلام هنا عن الإمرة الدنيوية لا الإمامة الإلهية، وبين المقامين فرق، فتأمّل.

٢- تحليل نفسية المجتمع:

قبل أن نبدأ بتحليل نفسية المجتمع عند تصدي أمير المؤمنين عليه السلام الحكم، نتذكّر ونسترجع وصف مجتمع الصحابة عند حضور النبي صلى الله عليه وآله كما ورد في الذكر الحكيم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[3]. وقال تعالى أيضاً:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٠.

٣- آل عمران: ١١٠.

﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1]، ثم نتساءل عن سبب تراجع الامة عمّا كانت عليه.

والجواب واضح من قوله تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، ويؤيده ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: **«حتى إذا قبض رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء على رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه»**[3].

نعم، هذا هو السبب الرئيسي لتخلّف الأمة، لانّه **«إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان»**[4]، وكما قال عليه السلام: **«فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة»** وعند عدم صلاحهم وعدم قيامهم بواجبهم ينتج منه ما ذكره عليه السلام من قوله: **«ظهرت معالم الجور، وكثر الادغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطّل، ولا لعظيم باطل فعل»**[5].

١- البقرة: ١٤٣.

٢- آل عمران: ١٤٤.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٠.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٦.

وفي عهده عليه السلام للأشتر يصرّح ويقول بكل وضوح: **«انّ هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا»**[1]، وقال عليه السلام: **«وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، فمكّنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات»**[2].

وقد تغيّر الناس بالفعل عند تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام دفة الحكم، وهو عليه السلام يشرح نفسيّة المجتمع آنذاك ويشير إلى عدّة نقاط:

منها تفشّي الفساد، قال عليه السلام: **«أيها الناس انّا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا»**[3]، وقال عليه السلام: **«قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشرّ إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأنّ باذنه عن سمع المواعظ وقراً، أين خياركم وصلحاؤكم؟ أين أحراركم وسمحاؤكم؟ أين المتورّعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٢.

جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغّصة، وهل خُلّفتم الّا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان، استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم؟ فانّا لله وانّا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر»[1] وقال عليه السلام: «واعلموا رحمكم الله انّكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق كليل، واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان، فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم ممازق، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيّهم فقيرهم»[2].

ومنها حب الدنيا، قال عليه السلام: «قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود، وحلالها بعيداً غير موجود، وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيها مبسوطة»[3]، وقال عليه السلام: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة... ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبيّن ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عمّا زوي منها عنكم، كانّها دار مقامكم،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٤.

وكأنّ متاعها باق عليكم»[1]، وقال عليه السلام: **«انّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم، فمالوا مع الدنيا، ونطقوا بالهوى»**[2].

ومنها الغدر، قال عليه السلام: **«ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة»**[3]، وقال عليه السلام: **«مازلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحلية المغترين»**[4].

ومنها الغفلة، قال عليه السلام: **«ولكنكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم أمركم»**[5].

ومنها خلط الحق والباطل، قال عليه السلام: **«لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق»**[6].

ومنها التهاون في أمر الدين، قال عليه السلام: **«وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون»**[7]، وقال عليه السلام: **«قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل، وصار دين أحدكم لُعقة**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٢.
٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٨.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤١.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٥.
٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٨.
٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٥.

على لسانه، صنيع من قد فرغ من عمله، وأحرز رضى سيده»[1].

ومنها اضاعة الطريق، قال عليه السلام: **«انّ الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكّرت»**[2]، **وقال**عليه السلام: **«مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاضاً نوّماً، وشهوداً غيّباً، وناظرة عمياً، وسامعة صماً، وناطقة بكماً»**[3].

ومنها الغرور والكبر والاعتداد بالنفس، قال عليه السلام: **«فياعجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات»**[4].

نعم هذه نفسية المجتمع آنذاك، وهي التي أولدت حرب الجمل وصفّين والنهروان، راح ضحيتها عشرات الآلاف، وهذا هو الداء العضال الذي أقلق أمير المؤمنين عليه السلام وأسهر لياليه، وهو القائل: **«وقد**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٧.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٧.

قلّبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله »[1]، حقّاً انّه لموقف عصيب، يحتاج إلى إيمان وبصيرة عالية، وليس لهذه الفتن إلّا أمير المؤمنين عليّ، كما قال عليه السلام: «**أما بعد أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها**»[2].

٣- وصف المسلمين آنذاك:

انّ الصفة الغالبة على خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه وقصار حكمه في نهج البلاغة، التبرّم من المسلمين الذين بايعوه، وبثّ الشكوى منهم لتمزّقهم وخذلانهم، وهذا ما التبس أمره على بعض إخواننا من أهل السنة فزعم انّ أمير المؤمنين عليه السلام يذم شيعته، ونقول في الجواب:

أولاً: انّه عليه السلام لم يقصد بذلك شيعته الخلّص الذين قال في حقهم: «**أنتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، والجنن يوم البأس، والبطانة دون الناس، بكم أضرب المدبر، وأرجو طاعة المقبل، فأعينوني بمناصحة خلية من الغش، سليمة من الريب**»[3]، وقال لما هجم أصحاب الجمل على البصرة: «**ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم صبراً،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٧.

وطائفة عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين»[1].

وقال عليه السلام: **«أين اخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق، أين عمار وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة... أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه»**[2].

فهؤلاء هم شيعة علي الخلّص، أمثال عمار وابن التيهان، وذي الشهادتين، وهاشم بن عتبة، ومحمد بن أبي بكر، وكميل، ومالك الأشتر، وغيرهم من أمثالهم، فكم ترى كان في جيش علي عليه السلام مثلهم؟! وهل تزعم انّ أمير المؤمنين ذمّ هؤلاء؟

وثانياً: انّ جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان يضمّ شرائح مختلفة، وطبقات من الناس متنوعة، فكان فيهم المؤمن والمنافق ومرضى القلوب والخوارج وأنصار عثمان وقتلة عثمان وغيرهم، وكشاهد على ذلك لما قال له قوم من أصحابه: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان، فقال عليه السلام لهم: **«انّ الناس من هذا الأمر إذا حرّك على امور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

ما لا ترون، وفرقة لا ترى لا هذا ولا هذا»[1].

فجيش علي عليه السلام كان يضمّ هذه الطوائف المختلفة التي بايعته كما بايعت من كان قبله، وهم ليسوا شيعة بالمعنى الاصطلاحي.

وثالثاً: انّ الذم لم يكن مطلقاً وعلى نحو القضية الحقيقية، بل جاء الذم والتبرم بعد التخاذل والتمزق وترك الطاعة، يدل عليه قوله عليه السلام: **«أيها الناس انّه لم يزل أمري معكم على ما أحب، حتى نهكتكم الحرب»**[2].

ولما كانوا يظهروا التجلد والاستقامة يمدحهم، كما قال في بعض أيام صفّين: **«لقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسّاً بالنصال وشجراً بالرماح، تركب اولاهم اخراهم كالابل الهيم المطرودة، تُرمى عن حياضها، وتذاد عن مواردها»**[3].

وكتب إلى أهل البصرة بعدما فتحها: **«وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمه، فقد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فأجبتم»**[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٦.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢.

ورابعاً: انّه عليه السلام كان يرى انّ هذا التخاذل سيؤدي إلى انكسار جيش الإسلام، وسيؤدي بتبعه إلى تغيير معالم الدين من قبل الطلقاء وأبناء الطلقاء الذين آمنوا رهبة وخوفاً، وستذهب كل تلك الجهود التي بذلها عليه السلام لنصرة الإسلام، وتنازل عن حقوقه الحقة، وتجرع الغصص والآلام، ستذهب كل هذه الجهود سدى، وهذا ما صرّح به عليه السلام وقال: **«ولكنّني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فانّ منهم الذي شرب فيكم الحرام، وجُلد حداً في الإسلام، وانّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم»**[1]، وقال عليه السلام: **«واعلموا انكم إن اتبعتم الداعي لكم، سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق»**[2].

وخامساً: انّ البعض منهم تأثّر بدعايات معاوية المسمومة ضد أمير المؤمنين عليه السلام لالقاء الفتنة - كما سنشير إليها - وعلى سبيل المثال اتهامه بالكذب، والذي اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يدافع عن نفسه ويقول لأهل العراق: **«ولقد بلغني انكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٦.

الله فعلى من أكذب، أعلى الله فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيه فأنا أوّل من صدّقه»[1].

هذا عدا بذل الأموال لشراء النفوس والضمائر، كما بدأ بعض الأفراد يتسلّل إلى معاوية ويلتحق به بحيث أصبح ظاهرة، ممّا اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يكتب إلى عامله على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري: «**أما بعد فقد بلغني انّ رجالاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، وانّما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، قد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا انّ الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا إلى الاثرة، فبعداً لهم وسحقاً، انّهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل...**»[2].

* * *

أما الآن فلنذكر ما ورد من ألفاظ الذم والتحريض في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي تتسم بسمات مختلفة نوجزها فيما يلي:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٧٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٠.

١- الغدر، قال عليه السلام: **«ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحلية المغترين»**[١].

٢- البخل، قال عليه السلام: **«فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها»**[٢].

٣- اتهامه عليه السلام **بالكذب،** قال عليه السلام: **«أما بعد يا أهل العراق، فانّما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني انّكم تقولون عليّ يكذب، قاتلكم الله فعلى من أكذب، أعلى الله فأنا أول من آمن به، أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه»**[٣].

٤- الاغترار بالدنيا، قال عليه السلام: **«قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم، ونبت المرعى على دمنكم، وتصافيتم على حب الآمال، وتعاديتم في كسب الأموال، لقد استهام بكم الخبيث، وتاه بكم الغرور، والله المستعان على نفسي ونفسكم»**[٤].

٥- ترك الحق، قال عليه السلام: **«أيّها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٠.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٣.

الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي اضعافاً بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد»[1].

٦- الخذلان والتذبذب، قال عليه السلام بعدما علم باستيلاء أصحاب معاوية على اليمن: **«انبئت بسراً قد اطلع اليمن، وانّي والله لأظنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقكم، وبمعصيتكم امامكم في الحق، وطاعتهم امامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته،... اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء»**[2].

وقال عليه السلام: **«ألا وانّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً واعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلّا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان... فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٥.

وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت انّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان...»[1].

وقال عليه السلام: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس: كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد! ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل؛ دفاع ذي الدّين المطول. لا يمنع الضّيم الذّليل, ولا يدرك الحقّ إلا بالجدّ؛ أيّ دار بعد داركم تمنعون، ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون! المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل. أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدوّ بكم، ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبّكم؟ القوم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٧.

رجال أمثالكم، أقولاً بغير علم! وغفلة من غير ورع! وطمعاً في غير حقّ!»[1].

وقال عليه السلام: «أفّ لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضاً! وبالذّلّ من العزّ خلفاً! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم؛ كأنّكم من الموت في غمرة، ومن الذّهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون، فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم، ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر. لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون؛ لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! وايم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى، واستحرّ الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرّأس»[2].

وقال عليه السلام: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم! أما دين يجمعكم، ولا حميّة تُحمشكم! أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتّى تكشف الامور عن عواقب المساءة،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٤.

فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام، دعـوتكم إلى نـصر إخـوانكم فجرجرتم جرجرة الـجمل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقـل النّـضو الأدبـر، ثـمّ خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف؛ كأنّما يساقون إلى الـموت وهم ينظرون»[1].

وقال عليه السلام: «كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة، والثّياب المتداعية! كلّما حيصت من جانب تهتّكت من آخر، كلّما أطلّ علـيكم منـسر مـن مناسر أهل الشّام أغلق كلّ رجل منكم بابه، والمجحـر المجحـار الـضّبّة في جحرها، والضّبع في وجارها. الذّليل والله من نصرتموه؛ ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل. إنّكم والله لكثير في الباحات، قليل تحت الرّايات، وإنّي لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكنّي والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي. أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم! لاتعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولاتبطلون الباطل كإبطالكم الحـقّ!»[2].

وقال عليه السلام: «أما والّذي نفسي بيده، ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن لاسـراعهم إلى باطـل صـاحبهم، وإبطـائكم عـن حقّـي. ولقـد أصـبحت الامـم تخـاف ظلـم رعاتهـا، وأصـبحت أخـاف ظلـم رعـيّتي. اسـتنفرتكم للجهـاد فلـم تنفـروا، وأسمعـتكم فلـم تـسمعوا، ودعـوتكم سـرّاً وجهـراً فلـم تـستجيبوا،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٨.

ونصحت لكم فلم تقبلوا. شهود كغيّاب، وعبيد كأرباب! أتلوا عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها، وأحثّكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غدوة، وترجعون إليّ عشيّة، كظهر الحنيّة، عجز المقوّم، وأعضل المقوّم.

أيّها الشّاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشّام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم!

ياأهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صمّ ذووأسماع، وبكم ذووكلام، وعمي ذووأبصار، لا أحرار صدق عند اللّقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء! تربت أيديكم! يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب تفرّقت من آخر، والله لكأنّي بكم فيما إخال لو حمس الوغى، وحمي الضّراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لقطاً»[1].

وقال عليه السلام: «ما أنتم بوثيقة يُعلق بها، ولا زوافر عزّ يعتصم اليها، لبئس حُشاش نار الحرب أنتم، أفٍ لكم لقد لقيت منكم برحاً، يوماً

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٦.

اناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، ولا اخوان ثقة عند النجاء»[1].

وقال عليه السلام: **«أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات أن أُطلع بكم سرار العدل، أو اقيم اعوجاج الحق»**[2].

وقال عليه السلام: **«أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيّتها الفرقة الّتي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع النّاس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم. لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقّكم! الموت أو الذّلّ لكم! فوالله لئن جاء يومي ـ وليأتينّي ـ ليفرّقنّ بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال، وبكم غير كثير.**

لله أنتم! أما دين يجمعكم! ولا محميّة تشحذكم! أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطّغام فيتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم ـ وأنتم تريكة الإسلام، وبقيّة النّاس ـ إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتتفرّقون عنّي وتختلفون عليّ! إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٠.

وقال عليه السلام: «**وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا، لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل**»[1].

وكتب عليه السلام الى ابن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر: «**وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية لأحببت ألّا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً**»[2].

وقال عليه السلام: «**إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وانّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي، كأنّي المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة**»[3].

٤- سيرته عليه السلام الحكومية:

تتلخّص ملامح سيرة أمير المؤمنين عليه السلام الحكومية كما يلي:

١- العمل بالشريعة وتبليغ مهام الرسالة، قال عليه السلام: «**ألم أعمل**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٥.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٥٢.

فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي»[1].

وقال عليه السلام: **«والله ما أسمعكم الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً الّا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار، ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان الّا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان، ووالله ما بُصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيتم به وحرموه»**[2].

وقال عليه السلام: **«ولكم علينا العمل بكتاب الله، وسيرة رسوله، والقيام بحقّه، والنعش لسنته»**[3].

وقال عليه السلام: **«أيها الناس، انّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء امهم، وأدّيت اليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم»**[4].

٢- متابعة الحق، قال عليه السلام: **«أقمت لكم على سنن الحق في جواد المظلّة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون»**[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦ .

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٨ .

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٩.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤.

وقال عليه السلام: **«لم يكن لأحد فيّ مهمز، ولا لقائل فيّ مغمز، الـذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»**[1].

٣- التـدرّج في الأمـور، وذلـك – كمـا قلنـا – للتنـوع الفكـري والعقائدي والسياسي الكبير الذي كان يسود المجتمع الاسلامي آنذاك، مما اضطر أميرالمؤمنين عليه السلام إلى أخـذ سياسـة التـدرج في سـلوكه الحكـومي، فهو عليه السلام لم تتم بيعته بعد ولم تستحكم حتى جاءه قوم من المسلمين وقالوا له: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان، فأجابهم عليه السلام بجواب اقنـاعي وقال في آخره: **«فاصبروا حتى يهدأ النـاس، وتقـع القلـوب مواقعهـا، وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدأوا عنّي، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتسقط مُنّة، وتورث وهناً وذلّة، وسأمسك الأمور ما استمسكت، وإذا لم أجد بُداً فآخر الدواء الكيّ»**[2].

وقال عليه السلام: **«فان ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحق على محضه»**[3].

وقال عليه السلام: **«لو قد استوت قدماي مـن هـذه المـداحض لغيّـرت أشياء»**[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٢.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٣.

فهو عليه السلام لم يكن متعنتاً برأيه حفاظاً على وحدة الامة ورعاية لمصلحة الدين، وتوحيداً للصف أمام العدو، ولذا كان يستشير ويقول: **«فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»**[1].

٤- التآلف ونبذ الفرقة، قال عليه السلام: **«وليس رجل - فاعلم - أحرص على جماعة امة محمد** صلى الله عليه وآله **والفتها منّي، أبتغي بذلك حسن الثواب، وكرم المآب، وسأفي بالذي وأيت على نفسي»**[2].

٥- العفو والصفح وحسن السيرة، قال عليه السلام: **«ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم، وأعتقتكم من ربق الذل، وحلق الضيم، شكراً منّي للبرّ القليل، وإطراقاً عمّا أدركه البصر، وشهده البدن من المنكر الكثير»**[3].

وقال عليه السلام لأهل البصرة: **«وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت مقبلكم»**[4].

ولما قال له بعض الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، همّ قوم من أصحابه أن يقتلوه، فنهاهم وقال: **«رويداً، انّما هو سب بسب أو عفو**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٩.

عن ذنب»[1].

وقال عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: **«إن أبق فأنا ولـيّ دمـي، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم»**[2].

٦- العدل وترك الظلم، قال عليه السلام: **«انّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنّي والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي»**[3].

وقال عليه السلام: **«أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحـق وإن كان كارهاً»**[4].

وقال عليه السلام في تعامله بالعدل والانصاف حتى مع نفـسه القدسـية: **«أيها الناس انّي والله ما أحثّكم على طاعـة الّـا وأسـبقكم اليهـا، ولا أنهاكم عن معصية الّا وأتناهى قبلكم عنها»**[5].

وقال عليه السلام: **«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحب اليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيـف أظلـم أحـداً لـنفس**

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٠٨.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٥.

يُسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها... والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته»[1].

وكان عليه السلام يكتب إلى عماله حينما يمرّ بالجيش من مدنهم ويوصيهم بالجيش خيراً ويقول: **«وأنا بين أظهر الجيش، فارفعوا اليّ مظالمكم مما يغلبكم من أمرهم ولا تطيقون دفعه الّا بالله وبي، أُغيره بمعونة الله إن شاء الله»**[2].

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: **«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانّك الّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم، فانّ الله سميع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بالمرصاد»**[3].

٧- ترك الغدر والخيانة، قال عليه السلام: **«لقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٠.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

ونهيه، فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[1].

وقال عليه السلام: **«وما معاوية بأدهى منّي ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»**[2].

وفي عهده عليه السلام للأشتر: **«وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت، فانّه ليس من فرائض الله عزوجل شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً، مع تفريق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوّك»**[3].

طبعاً هذا فيما لو التزم العدوّ بالوفاء أيضاً، والّا كما قال عليه السلام: **«الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»**[4].

٨- الاصلاح، قال عليه السلام وهو يدعو: **«اللهم أيّما عبد من عبادك**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٠.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٥٠.

سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص عن نصرتك والإبطاء عن اعزاز دينك، فانّا نستشهدك عليه...»[1].

وقال عليه السلام: **«وما أردت إلّا الاصلاح ما استطعت...»** [2].

وقال عليه السلام: **«اللهم انّك تعلم انّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك»**[3].

٩- التواضع، قال عليه السلام: **«انّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظنّ بهم حب الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم انّي أُحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أُحبّ أن يُقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله واليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابد من امضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣١.

بما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس اعظام لنفسي، فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل...»[1].

وقال عليه السلام لما مرّ بدهاقين الأنبار فمشوا بين يديه وترجلوا: **«ما هذا الذي صنعتموه؟»** فقالوا: خلق منّا نعظّم به امراءنا، فقال عليه السلام: **«والله ما ينتفع بهذا امراؤكم، وانّكم لتشقّون به على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم...»**[2].

وقال عليه السلام لحرب بن شرحبيل الشبامي من وجوه الشباميين لما مشى خلفه وهو عليه السلام راكب: **«ارجع فانّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن»**[3].

١٠- الزهد، قال عليه السلام: **«ألا وانّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه... فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها اتان دبرة...»**[4].

١١- المواساة، قال عليه السلام: **«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٦.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٣.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣١٣.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكـن هيهـات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمـة، ولعـلّ بالحجـاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبـك أن تـبـيت ببطنـة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال أمـير المـؤمنين ولا أشـاركهم في مكـاره الدهر، أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش...»[1].

١٢- المساواة في التعامل، كتب عليه السلام لسهل بن حنيف واليه علـى المدينة لما تسلّل بعض أهلها إلى معاويـة: **«وعلمـوا انّ النـاس عنـدنا في الحق اسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم وسحقاً»**[2].

وكتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكـر: **«فـاخفض لهـم جناحـك، وألـن لهـم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم»**[3].

١٣- عـدم توليـة الفاسـقين والفجـار، كتـب عليه السلام إلى معاويـة: **«وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أُجري لك على**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٠.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

أحدٍ منهم عقداً أو عهداً»[1].

وكتب عليه السلام إلى المنذر بن الجارود وقد عزله بعد خيانته: «**ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يُسدّ به ثغر، أو يُنفذ به أمر، أو يُعلى له قدر، أو يُشرك في أمانة، أو يؤمن على خيانة**»[2].

وفي كتابه إلى معاوية أيضاً: «**وأما طلبك اليّ الشام، فانّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس**»[3].

١٤- الهداية إلى الكمال، قال عليه السلام لأهل البصرة: «**فان أطعتموني فانّي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة، وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة**»[4].

١٥- تفقّد أحوال الأمراء ومراقبتهم، كتب عليه السلام إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة: «**وقد بلغني تنمّرك لبني تميم وغلظتك عليهم، وانّ بني تميم لم يغب لهم نجم الّا طلع لهم آخر، وانّهم لم يُسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام...**»[5].

وكتب إلى بعض عمّاله: «**أما بعد، فانّ دهاقين أهل بلدك شكوا**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧١.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٧.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٨.

منك غلظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يُقصوا ويُحفوا لعهدهم...»[1].

وكتب أيضاً إلى زياد بن أبيه: **«وانّي اقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني انّك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر»**[2].

وكتب إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: **«أما بعد يا بن حنيف، فقد بلغني انّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت انّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ»**[3].

٥- سيرته عليه السلام المالية:

كانت معالم سيرة أمير المؤمنين عليه السلام المالية تعتمد على الركائز التالية:

١- رعاية العدل، قال عليه السلام بالنسبة إلى قطائع عثمان: **«والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلك به الاماء لرددته، فانّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»**[4].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١٩.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٠.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥.

وقال عليه السلام لبعض شيعته لما طلب منه مالاً: **«انّ هذا المال ليس لي ولا لك، وانّما هو فيء للمسلمين، وجلب أسيافهم، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، والّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»**[1].

وقد تجسّد هذا العدل المالي في وصاياه إلى من يستعمله على الخراج، فقد كتب اليهم: **«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله.**

فإذا قدمت على الحيّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسّكينة والوقار، حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ولا تخدج بالتّحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله، أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه! فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلّا بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلّط عليه ولا عنيف به، ولا تنفّرنّ بهيمة ولا تفزعنّها، ولا تسوءنّ صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره، ثمّ اصدع الباقي

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣١.

صدعين، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار، فلا تـزال بـذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحـقّ الله في مالـه، فـاقبض حـقّ الله منـه، فـإن استقالك فأقله، ثمّ اخلطهما، ثمّ اصنع مثل الّذي صـنعت أوّلاً حتّـى تأخذ حقّ الله في ماله.

ولا تأخذنّ عوداً، ولا هرمة ، ولا مكسورة ، ولا مهلوسـة ، ولا ذات عوار. ولا تأمننّ عليها إلّا من تثق بدينه، رافقاً بمـال الـمـسلمين حتّى يوصله إلى وليّهم فيقسمه بينهم. ولا توكّل بها إلّا ناصحاً شفيقاً، وأميناً حفيظاً، غير معنّف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب.

ثمّ احدر إلينا ما اجتمع عندك، نـصيّره حيـث أمـر الله بـه. فـإذا أخذها أمينك فأوعز إليه: ألّا يحول بين ناقة وبين فـصيلها ، ولا يمـصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها ، ولا يجهدنّها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفّه على اللاّغب، وليستأن بالنّقب والظّالع، وليوردها ما تـمرّ به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق، وليروّحها في السّاعات، ولـيمهلها عند النّطاف والأعشاب، حتّى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات، غير متعبات ولا مجهودات، لنقسمها على كتاب الله وسنّة نبيّه عليه السلام فإنّ ذلك أعظم لأجرك، وأقرب لرشـدك، إن شـاء الله»[1].

وكتب إليهم أيضاً: «ولا تضربنّ أحـداً سـوطاً لمكـان درهـم، ولا

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٥.

تمسّنّ مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد الّا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الاسلام، فانّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الاسلام، فيكون شوكة عليه»[1].

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: **«وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع»**[2].

٢- التسوية في العطاء، قال عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء من غير تفضيل إلى السابقات والشرف: **«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وانّما المال مال الله»**[3].

وقال عليه السلام لطلحة والزبير: **«وأمّا ما ذكرتما من أمر الاسوة، فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليته هوىً منّي، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم أحتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى»**[4].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥١.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٥.

ويشرح عليه السلام معاملته مع أخيه عقيل لما طلب منه زيادة في العطاء: **«والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتّى استماحني من بـرّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الألوان من فقرهم، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليّ القول مردّداً، فأصغيت إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني، وأتّبع قياده، مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدةً، ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثّواكل، يا عقيل! أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه! أتئنّ من الاذى ولا أئنّ من لظىً؟!»**[1].

وكتب عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة: **«ألا وانّ حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه ويصدرون عنه»**[2].

٣- مراقبة العمال، قال عليه السلام لشريح لما اشترى داراً: **«فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا والآخرة»**[3].

٤- النصيحة والتذكر، كتب عليه السلام للأشعث بن قيس عامله على آذربيجان: **«وانّ عملك ليس لك بطعمة، ولكنّه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣.

ليس لك أن تفتات في رعية، ولا تخاطر الّا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عزوجل، وأنت من خزّانه حتى تسلّمه اليّ»[1].

وكتب عليه السلام إلى بعض عماله: **«وانّ لـك في هـذه الـصدقة نـصيباً مفروضاً، وحقاً معلوماً، وشركاء أهل مسكنة وضـعفاء ذوي فاقـة انّـا موفّوك حقك فوفّهم حقوقهم، والّا تفعل فانّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء والمـساكين والـسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل»**[2].

٥- التوعّد والعقوبة، كتب عليه السلام إلى زياد بن أبيه: **«وانّي اقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني انّك خنت من فيء المـسلمين شـيئاً صـغيراً أو كبيراً، لأشدّنّ عليك شدّة تـدعك قليـل الـوفر، ثقيـل الظهـر، ضـئيل الأمر»**[3].

وكتب عليه السلام إلى بعض عماله: **«أما بعد، فقد بلغـني عنـك أمـر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيـت أمانتـك، بلغني انّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت مـا تحـت يديك، فارفع اليّ حسابك، واعلم انّ حساب الله أعظـم مـن حـساب الناس»**[4].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٠.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٠.

وكتب عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة عامله على أرد شير خُرّة: «**بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وأغضبت إمامك: انّك تقسم فيء المسلمين الّذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ بك عليّ هواناً، ولتخفّنّ عندي ميزاناً، فلا تستهن بحقّ ربّك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً. ألا وإنّ حقّ من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه، يصدرون عنه، والسّلام**»[1].

وفي عهده لمالك الأشتر: «**وتحفّظ من الأعوان، فان أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدته عار التهمة**»[2].

٦- منع الاحتكار، في عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «**واعلم مع ذلك انّ في كثير منهم [أي التجار] ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه... فمن قارف حكرة بعد نهيك ايّاه فنكّل به وعاقب في غير اسراف**»[3].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٧- وضع المال في موضعه، قال عليه السلام: «ألا وانّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه وعند غير أهله الّا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فان زلّت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين»[1].

٨- الاهتمام بالتنمية الاقتصادية، في عهده عليه السلام للأشتر: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لانّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً.

فإن شكوا ثقلاً أو علّة، أو انقطاع شرب أو بالّة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم، فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوّتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثّقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربّما حدث من الامور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبة أنفسهم به، فإنّ العمران محتمل ما حمّلته، وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنّما يعوز أهلها لاشراف أنفس

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٦.

الولاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعبر»[1].

٩- الاهتمام بالتجارة، في عهده عليه السلام للأشتر: **«واعلم انّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها الّا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض... ولا قوام لهم جميعاً الّا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفّق بأيديهم ممّا لا يبلغه رفق غيرهم... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفّق ببدنه، فانّهم مواد المنافع، وأسباب المرافق وجلّابها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فانّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تُخشى غائلته، وتفقّد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك»**[2].

١٠- الاهتمام بالفقراء، في عهده عليه السلام للأشتر: **«ثمّ الله الله في الطّبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطّبقة قانعاً ومعترّاً، واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلاّت صوافي الاسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى، وكلّ قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطر، فإنّك لا تعذر**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

بتضييع التّافه لاحكامك الكثير المهمّ.

فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون، وتحقره الرّجال، ففرّغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكلّ فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقّه إليه.

وتعهّد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحقّ كلّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم»[1].

وفي كتابه إلى قثم بن العباس عامله على مكة: «**وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع المفاقر والخلّات، وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا**»[2].

٦- سيرته عليه السلام الحربية:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يعتمد في سيرته الحربية على علمه اللدنّي الالهي أولاً، وثانياً على تجربته الشخصية، إذ مارس الحرب من بدايات

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٧.

حياته الكريمة، وهذا ما صرّح به عليه السلام لما اتّهم بعدم معرفة فنون الحرب نتيجة تقاعس جنوده عن طاعته، فقال: «**قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: انّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين**[1]**، وها أنا اليوم قد ذرّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع**»[2].

وعلى كل حال فانّ سيرته الحربية في نهج البلاغة تعكس فترة حكومته عليه السلام، ولا يتعرّض إلى زمن الرسول صلى الله عليه وآله الّا من باب التذكير والتحريض، وفيما يلي بعض معالم سيرته عليه السلام وتخطيطه للحرب:

١- التحريض على الجهاد، قال عليه السلام: «**أما بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء،**

١- هكذا في المصادر، ولكن رواه المسعودي: «وما بلغت الثلاثين» وصوّبه المحقق التستري في بهج الصباغة، ١٠: ٥١٤ وقال: «والظاهر صحته، فأوّل حروبه عليه السلام الرسمية حرب بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة وكان عليه السلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، وكان مقام النبي صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة».

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٧.

وديّث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالاسهاب، واديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف»[1].

وقال عليه السلام: **«الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وانّي معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج»**[2].

٢- الاستعداد للقتال، وهو ينقسم إلى استعداد نفسي، واستعداد ظاهري، أما بالنسبة إلى الاستعداد النفسي يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«تزول الجبال ولا تزُل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم، وغُضّ بصرك، واعلم انّ النصر من عند الله سبحانه»**[3].

وقال عليه السلام: **«معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضّوا على النواجذ، فانّه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللأمة، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلّها، والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، ونافحوا بالضبا، وصلوا السيوف بالخطا، واعلموا انّكم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله»**[4].

وقال عليه السلام: **«اذمروا أنفسكم على الطعن الدعسيّ، والضرب**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٥.

الطلحفيّ، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل»[1].

وأما بالنسبة إلى الاستعداد الظاهري فقال عليه السلام: **«فقدّموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس فانّه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا في أطراف الرماح فانّه أمور للأسنة، وغضّوا الأبصار فانّه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل، ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلّوها، ولا تجعلوها الّا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم، فانّ الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفّون برياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وأمامها، لا يتأخّرون عنها فيسلموها، ولا يتقدّمون عليها فيفردوها»**[2].

وقال عليه السلام لمن بعثهم إلى الحرب: **«فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم، فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءاً، ودونكم مردّاً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلّا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا انّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، واياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّة، ولا تذوقوا النوم الّا غراراً أو مضمضة»**[3].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٤.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١١.

٣- عدم البدء بالقتال لاتمام الحجة، قال عليه السلام لما أشاروا عليه بالاستعداد لحرب الشام: «**الرأي مع الأناة، فأرودوا ولا أكره لكم الإعداد**»[١].

وقال عليه السلام لأصحابه لما استبطؤوا القتال مع أهل الشام: «**فوالله ما دفعت الحرب يوماً الّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحبّ اليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها**»[٢].

وقال عليه السلام: «**إذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها**»[٣].

٤- عدم الشروع بالقتال، وطريقة المعاملة مع العدو بعد القتال، قال عليه السلام: «**لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فانّكم بحمد الله على حجة، وترككم اياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن امراءكم**»[٤].

٥- القاء الحماسة، قال عليه السلام لما استولى أصحاب معاوية على الماء:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢١.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٤.

«قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلة وتأخير محلّة، أو روّوا السيوف من الدماء تروووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين»[1].

وقال عليه السلام في حضّ أصحابه على القتال: **«أنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم»**[2].

وقال عليه السلام: **«ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت، و إلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى ممالككم تُزوى، وإلى بلادكم تُغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوّكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤا بالذل، ويكون نصيبكم الأخس، وانّ أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه»**[3].

٦- مساعدة باقي الجنود عند رؤية الفشل منهم، قال عليه السلام: **«وأيّ امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من اخوانه فشلاً، فليذبب عن أخيه بفضل نجدته التي فُضّل بها عليه كما يذبّ عنه نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله»**[4].

وقال عليه السلام: **«أجزأ امرؤ قرنه، وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٤.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٢.

أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه»[1].

٧ـ التهديد والتوعد، كتب عليه السلام إلى معاوية: **«وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد»**[2].

وكتب عليه السلام إلى أهل البصرة: **«ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم، لاوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاعق»**[3].

وكتب عليه السلام إلى معاوية: **«أنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم ، متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك، وماهي من الظالمين ببعيد»** [4].

وكتب عليه السلام إليه أيضاً: **«فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي»** [5].

٨ ـ الاستقامة في القتال، قال عليه السلام وهو يصف استقامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في القتال: **«ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضيّاً**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٤.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٤.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.

على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ، ولقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الاسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم، ما قام للدّين عمود، ولا اخضرّ للايمان عود، وأيم الله لتحتلبنّها دماً، ولتتبعنّها ندماً!»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: **«فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وانّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا ايماناً ومضياً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح»**[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢١.

- ٦ -

علي عليه السلام والبغاة

١- حكم البغاة:

قال تعالى في محكم كتابه: «**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**»[1].

انطلاقاً من هذه الآية ومن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام يعرف حكم البغاة في وجوب الإصلاح أولاً، والقتال عند عدم الصلاح ثانياً، وهذا متفق عليه لا خلاف فيه.

وإنّما وقع الخلاف في حكم البغاة، هل انّهم يدخلون ببغيهم في الكفر أو الفسق او انّهم متأولون لا كفار ولا فساق، ذهبت الإمامية إلى الأول، والمعتزلة إلى الثاني، وقاطبة أهل السنة إلى الثالث.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على مدعاهم حيث انّ الله تعالى وصف الطائفتين بالإيمان، ولكن أجاب الشيخ الطوسي رحمه الله عن هذا

١- الجمرات: ٩.

الإشكال قائلاً: «لا يدل على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان، ويطلق عليهما هذا الاسم، بل لا يمتنع أن يفسق أحد الطائفتين أو يفسقا جميعاً، وجرى ذلك مجرى أن تقول: وإن طائفتان من المؤمنين ارتدت عن الإسلام فاقتلوها»[1].

وأما المعتزلة فمذهبهم في البغاة تابع لقولهم في أصحاب الكبيرة من انهّ لا مؤمن ولا كافر.

وأما الإمامية فقد استدلّوا بعدة أدلّة على الحكم بكفرهم إذا لم يتوبوا ولم يتداركوا ما فات، قال الشيخ الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي: «عندنا انّ من حارب أمير المؤمنين عليه السلام وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر، والدليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقة من الإمامية على ذلك، فانّهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال.

وأيضاً فنحن نعلم انّ من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها، ودفع الإمامة كفر، كما انّ دفع النبوة كفر، لانّ الجهل بهما على حد واحد. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه قال: **«من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»** وميتة الجاهلية لا تكون الّا على كفر. وأيضاً روي عنه صلى الله عليه وآله انّه قال: **«حربك ياعلي حربي وسلمك سلمي»**.

ومعلوم انّه صلى الله عليه وآله إنّما أراد: انّ أحكام حربك تماثل أحكام حربي، ولم يرد صلى الله عليه وآله انّ إحدى الحربين هي الأخرى، لأنّ المعلوم ضرورة

١- التبيان للطوسي٩: ٣٤٦ .

خلاف ذلك، وإذا كان حرب النبي صلى الله عليه وآله كفراً وجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه جعله مثل حربه.

ويدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: «**اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» ونحن نعلم انّه لا تجب عداوة أحد بالإطلاق الّا عداوة الكفار. وأيضاً: فنحن نعلم انّ من كان يقاتله يستحلّ دمه ويتقرّب إلى الله بذلك، واستحلال دم امرئ مسلم كفر بالإجماع، وهو أعظم من استحلال جرعة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق.

فإن قيل: لو كانوا كفاراً لوجب أن يسير فيهم بسيرة الكفار، فيتبع موليهم، ويجهز على جريحهم، وتسبى ذراريهم، فلما لم يفعل ذلك دلّ على انّهم لم يكونوا كفاراً.

قلنا: لا يجب بالتساوي في الكفر التساوي في جميع أحكامه، لأنّ أحكام الكفر مختلفة: فحكم الحربي خلاف حكم الذمي، وحكم أهل الكتاب خلاف من لا كتاب له من عبّاد الأصنام، فانّ أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية ويقرّون على أديانهم، ولا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام. وعند من خالفنا من الفقهاء يجوز التزوج من أهل الذمة وإن لم يجز ذلك إلى غيرهم. وحكم المرتد بخلاف حكم الجميع، و إذا كان حكم الكفر مختلفاً مع الاتفاق في كونه كفراً، لا يمتنع أن يكون من محاربه عليه السلام كافراً، وإن سار فيهم بخلاف أحكام الكفار، وفعله عليه السلام حجة في الشرع بما ثبت من إمامته وعصمته، فيجب أن تكون سيرته فيهم هو الذي يجب العمل به والاعتقاد بصحته. وقد استوفينا الكلام في هذه المسألة فيما

تقدم حيث استدلوا بقوله تعالى: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ...﴾[1] على إمامة أبي بكر، فلا وجه لاعادته»[2].

وقد قال الشيخ المفيد رحمه الله بعد تبيين الآراء المختلفة عند المذاهب الإسلامية في حكمهم: «وأجمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين عليه السلام ولكنّهم لم يخرجوهم بذلك عن حكم ملّة الإسلام، إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملّة ولم يكن كفر ردّة عن الشرع مع اقامتهم على الجملة منه، واظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردّة المخرج عن الإسلام، وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الايمان، مستحقين به اللعنة والخلود في النار»[3].

ولو رجعنا إلى نهج البلاغة لرأينا انّ موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع البغاة يتلخص في النقاط التالية:

١ــ النصيحة، وهذا ما حدث لأصحاب الجمل والنهروان وأصحاب معاوية، وقد مضى شطر منه في سيرته عليه السلام الحربية.

٢ـ ضرورة قتالهم، قال عليه السلام: **«وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء محمد**صلى الله عليه وآله**، فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب،**

١- الفتح: ١٦.

٢- تلخيص الشافي للطوسي ٤: ١٣١ - ١٣٣.

٣- كتاب الجمل: ٧٠.

وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة»[1].

وقال عليه السلام: **«ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلاّ القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله»**[2].

وكتب عليه السلام إلى أخيه عقيل: **«وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال، فانّ رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة»**[3].

وقال عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل: **«فقدموا على عاملي بها [أي بالبصرة] وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً، فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم»**[4].

٣ ـ لزوم البصيرة، قال عليه السلام: **«قد فُتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق، فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عند ما تُنهون عنه، ولا تعجلوا في**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٢.

أمر حتى تبيّنوا، فانّ لنا مع كل أمر تنكرونه غيراً»[1].

ولذا لما شك بعض من معه وسأله عن أصحاب الجمل هل كانوا على ضلالة، قال عليه السلام: **«انّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، انّك لم تعرف الحق فتعرف من أباه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه»**[2].

وكتب عليه السلام إلى أهل مصر: **«وانّي من ضلالهم الذي هم فيه، و الهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي»**[3].

وكتب عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري: **«والله انّه لحق مع محق، وما أبالي ما صنع الملحدون»**[4].

٤ ـ **الفتنة،** قال عليه السلام بعد ما ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسابقته في نصرته: **«وانّ مسيري هذا لمثلها، فلأُنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه، مالي وقريش والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنّهم مفتونين، وانّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»**[5].

وقال عليه السلام: **«أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٥٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٢.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٣.

ليجترئ عليها أحد غيري بعد ما ماج غيهبها، واشتد كلبها»[1].

وكتب عليه السلام إلى أهل الكوفة: «**واعلموا انّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها... وقامت الفتنة على القطب**»[2].

وكتب عليه السلام إلى معاوية: «**ففرّق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفتنتم**»[3].

أقول: هذا لا ينافي اجماع الإمامية على تكفير الباغي على الإمام عليه السلام ما لم يتب ويتدارك ما فات منه، لأنّ المفتون معنى عاماً يشمل كل من افتتن سواء كَفَرَ أو ارتدّ أو فسق أو أذنب، وعدم إجراء أحكام الكفار عليهم لا يضرّنا إذ نعتقد انّ أحكام الكفار تختلف كما قال الشيخ الطوسي: «أحكام الكفر مختلفة كحكم الحربي والمعاهد والذمي والوثني، فمنهم من تقبل منهم الجزية ويقرون على دينهم، ومنهم من لا تقبل، ومنهم من يناكح وتؤكل ذبيحته ومنهم لا تؤكل عند المخالف، ولا يمتنع أن يكون من كان متظاهراً بالشهادتين وإن حكم بكفره حكمه مخالف لأحكام الكفار، كما تقول المعتزلة في المجبرة والمشبّهة وغيرهم من الفرق الذين يحكمون بكفرهم، وإن لم تجر هذه الأحكام عليهم»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٤.

٤- الاقتصاد للطوسي: ٢٢٦.

ثم انّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام يفسّر بعضه بعضاً، فلو رجعنا إلى بعض مقاطع كلامه لرأيناه يقول: «**... وانّ مسيري هذا لمثلها**» يشير عليه السلام إلى انّ حربه مع البغاة كحربه الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وقال عليه السلام في مكان آخر: «**واعلموا انّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً. وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام الّا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان الّا رسمه، تقولون: النار ولا العار كأنّكم تريدون أن تكفؤوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه**»[1].

فوصفهم عليه السلام بالتعرب بعد الهجرة، ومحاولة هدم الإسلام وانتهاك حرمته ونقض ميثاقه، وقال عليه السلام: «**فانّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي**»[2]. ومعلوم ما هو حكم المحاربة مع النبي صلى الله عليه وآله، وقد سبق عنه صلى الله عليه وآله لعليّ: «**حربك حربي**».

وممّا وصفهم عليه السلام أيضاً: «**ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان**»[3].

وقال عليه السلام: «**استعدوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، وموزعين بالجور لا يعدلون به، جفاة عن الكتاب، نكّب عن الطريق**»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٥.

وقال عليه السلام: «**حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فوّاره من ينبوعه**»[1].

وقال عليه السلام: «**انّ الشيطان اليوم قد استفلّهم،وهو غداً متبرئ منهم ومخل عنهم، فحسبهم بخروجهم من الهدى، وارتكاسهم في الضلال والعمى، وصدّهم عن الحق، وجماحهم في التيه**»[2].

وقال عليه السلام: «**ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه**»[3].

وقال عليه السلام: «**والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه**»[4].

وكتب عليه السلام إلى معاوية: «**أما قولك انّ الحرب قد أكلت العرب الّا حشاشات أنفس بقيت، فمن أكله الحق فإلى النار... ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم**»[5].

وكتب عليه السلام إليه أيضاً: «**فقد أجريت إلى غاية خسر، ومحلّة كفر،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٢.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨١.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.
٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٦.
٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٧.

وانّ نفسك قد أوحلتك شرّاً، وأقحمتك غياً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك»[1].

وكتب عليه السلام إلى أهل الأمصار بعد وقعة صفين: «**... ومن لجّ وتمادى، فهو الراكس الذي ران الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه**»[2].

ألا تدلّ هذه الأوصاف كلها على الحكم بكفر القوم، ولو تنزلنا وسلّمنا بعدم كفرهم، ولكن هل نشك في انّهم من أهل النار، وهذا يكفي في الحكم بضلالهم واعوجاجهم عن الحق، ويلزم علينا التبرؤ منهم وعدم تولّيهم، ما لم تثبت توبتهم، وانّ توبة كل عمل بحسبه، فمن أضل لمة من الناس، وكان السبب في اغوائهم وعدولهم عن جادة الحق، لا يمكن الاكتفاء في توبته بالندم والاستغفار باللسان مالم يعترف بالخطأ والضلال، ويرشد الذين أغواهم ويمنعهم عن ضلالهم.

وهناك نص آخر حاول ابن أبي الحديد تفسيره بما يدعم معتقده في البغاة، وهو ما نقله علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «**ياعليّ انّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع**» قال

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٨.

أمير المؤمنين عليه السلام: **«قلت: يارسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك، أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة»**.

فهذا النص لا يدل من قريب ولا من بعيد على حكم البغاة، بل إنّما يشرح حال المفتتن بالدنيا وزخارفها، ما لم يصل به الأمر إلى الارتداد وانكار ضروريات الدين، ولذا قال صلى الله عليه وآله: **«انّ القوم سيفتنون بأموالهم»** ولم يقل يرتدون، وقضية البغي على الإمام الحق قضية سياسية اجتماعية.

٥ـ القتال، قال عليه السلام: **«انّ هؤلاء قد تمالأوا على سخطة إمارتي، وسأصبر مالم أخف على جماعتكم، فانّهم إن تموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين»**[١].

وقال عليه السلام: **«أيها الناس انّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب فان أبى قوتل»**[٢].

وقال عليه السلام: **«انّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضىً، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله ما تولّى»**[٣].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٣.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦.

وقال عليه السلام: **«ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأمّا المارقة فقد دوخت، وأمّا شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره، وبقيت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرة عليهم لاديلنّ منهم الاّ ما يتشذّر في أطراف الأرض تشذّراً»**[1].

٦ـ وأخيراً يذكر الإمام عليه السلام انّ سبب بغي هؤلاء كان الشيطان، وحب الدنيا، والحسد، قال عليه السلام: **«فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول:** ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] **بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»**[3].

وقال عليه السلام: **«ألا وانّ الشيطان قد ذمّر حزبه، واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه»**[4].

وقال عليه السلام: **«انّ هؤلاء تمالأوا على سخطة امارتي... وانّما طلبوا**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- القصص: ٨٣.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢.

هـذه الـدنيا حـسداً لمـن أفاءهـا الله عليـه، فـأرادوا ردّ الامـور علـى أدبارها»[1].

٢ ـ أصحاب الجمل:

بعدما تمت البيعة لعلي عليه السلام بدأ المتضرّرون منها بالتخطيط لنقضها وعدم استحكام أمرها، ولكل منهم دليله.

أما عائشة فكانت تريد الأمر لطلحة أو للـزبير، ولمـا علمـت بقتـل عثمان خرجت من مكة متوجهـة إلى المدينـة، لكنهـا لمـا سمعـت ببيعـة الناس لعلي عليه السلام رجعت إلى مكة وأظهـرت انّ عثمـان قتـل مظلومـاً، وليس ذلك الاّ لما كانت تحمله من أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أشار إليه بقوله: «**وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت اليّ لم تفعل**»[2].

أما عمّال عثمان وشيعته، فهربوا بـالأموال الـتي كانـت بحـوزتهم، خوفاً من عدل عليّ عليه السلام، إذ هو الذي حلف بـالله تعـالى انّ يـرد قطـائع عثمان وقال: «**والله لو وجدتـه تـزوّج بـه النـساء، وملـك بـه الامـاء لرددته**»[3]. مضافاً إلى المظالم التي كانت في رقابهم، فلاذوا بالبيـت وبـأُم المؤمنين لعلمهم من ذي قبل بمخالفتها لعليّ عليه السلام.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥.

وأما طلحة والزبير فانّهما وإن كانا من أول المبايعين لعلي عليه السلام، كما قال: «**أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما انّي لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم ابايعهم حتى بايعوني، وانّكما ممن أرادني وبايعني**»[1].

ولكن كانا ـ بعد ما صرف الأمر عنهما ـ يطمعان أن يكون لهما شأن خاص في حكومة علي عليه السلام، لذا اشترطا عليه قبل البيعة أن يكونا شركاؤه في الأمر، فقال لهما عليه السلام: «**لا، لكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والأود**»[2].

ولما عتبا على أمير المؤمنين عليه السلام بترك مشورتهما في الأمور والمساواة في توزيع بيت المال، قال عليه السلام في الجواب: «**لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أيّ شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ وأيّ قسم استأثرت عليكما به؟ أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟!**

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استسنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته، فأستشيركما وإخواني من المسلمين؛ ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٤.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٩٢.

عن غيركما.

وأمّا ما ذكرتما من أمر الاسوة، فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوىً منّي، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبى. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ، وألهمنا وإيّاكم الصّبر»[1].

ثم انّهما بعد اليأس من عليّ عليه السلام بدءا بالتخطيط لنقض العهد ونكث البيعة، فادعيا أولاً انّهما اكرها وأُجبرا على البيعة، فكتب إليهما أمير المؤمنين عليه السلام: «**فان كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة واسراركما المعصية، ولعمري ماكنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان، وانّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما**»[2].

وقال عليه السلام في الزبير: «**يزعم انّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يُعرف والاّ فليدخل فيما خرج منه**»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨.

ثم انّهما بعد ما علما بموقف عائشة، ورفعها شعار المخالفة لعلي عليه السلام والدفاع عن الخليفة المقتول، اتخذا سياسة اتهام علي عليه السلام بقتل عثمان، وفي ذلك يقول عليه السلام: **«وانّهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة الاّ قبلهم، وانّ أول عدلهم للحكم على أنفسهم»**[1].

وكتب إليهما أيضاً: **«وقد زعمتما انّي قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل»**[2].

وهذا الادعاء كان خدعة منهما للناس، وتبريراً لنقض البيعة، ومن جانب آخر التخلّص من متابعة ومعاتبة أنصار عثمان واستجلاب قلوبهم، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في نقض هذا الادعاء وهو يشير إلى طلحة: **«والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان الاّ خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشّكّ. ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدةً من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه وأن ينابذ ناصريه، ولئن كان مظلوماً لقد**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٤.

كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذّرين فيه، ولئن كان في شكّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع النّاس معه، فما فعل واحدةً من الثّلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره»[1].

ثم انّ هناك بعض الأسباب الاخر لنكث البيعة، أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن كلامه عن أصحاب الجمل، منها الحسد فقد قال: **«وانّما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه، فأرادوا ردّ هذه الأمور على أدبارها»**[2].

وقال عليه السلام في عائشة: **«وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين»**[3].

ومنه التنافس على الدنيا، فقد قال عليه السلام: **«فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت اخرى، وفسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول:** ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] **بلى والله لقد سمعوها و وعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»**[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

٤- القصص: ٨٣.

٥- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣.

وقد ذكر الشيخ المفيد رحمه الله انّ طلحة والزبير لما غلبا على بيت مال البصرة احتملا منه شيئاً كثيراً[1].

وهذا التنافس والتكالب على الدنيا كان يتبلور أكثر حينما تصطدم المصالح فيبدأ النزاع بين شيوخ القوم، وعلى سبيل المثال ذكر الشيخ المفيد: «انّ القوم لما سيطروا على البصرة وحان وقت الصلاة، رام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلّي بهم فمنعه طلحة، فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى أهل البصرة: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها...»[2].

وفي حادثة أخرى يرويها الشيخ المفيد أيضاً: «انّ القوم لما أخذوا من بيت مال البصرة ما شاؤوا أمرت عائشة بختمه، فبرز لذلك طلحة ليختمه، فمنعه الزبير، وأراد أن يختمه الزبير دونه فتدافعا، فبلغ عائشة ذلك فقالت: يختمانه ويختم عنّي ابن أختي عبد الله بن الزبير، فختم يومئذٍ بثلاثة ختوم»[3].

وهذا ما تنبأ به أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**كل واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه، لا يمتان إلى الله بحبل، ولا يمدّان إليه بسبب، كل واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه، وعمّا قليل**

١- الجمل للمفيد: ٢٨٤.

٢- المصدر نفسه: ٢٨١ - ٢٨٢.

٣- المصدر نفسه: ٢٨٤.

يُكشف قناعه به، والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا، وليأتينّ هذا على هذا»[1].

فهؤلاء القوم بهذه النوايا ساروا إلى البصرة، وقتلوا من قتلوا وأخذوا من بيت المال ما شاؤوا، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطّاعة، وسمح لي بالبيعة، طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفةً صبراً، وطائفةً غدراً. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد. دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة الّتي دخلوا بها عليهم!**»[2].

وقال عليه السلام: «**فقدموا على عمّالي وخزّان بيت مال المسلمين الّذي في يديّ، وعلى أهل مصر، كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتّتوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفةً منهم غدراً، وطائفة عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتّى لقوا الله**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٢.

صادقين»[1].

وكان موقف أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفتنة الظلماء **أولاً**: التأني والتؤدة حيث قال: «**وسأصبر مالم أخف على جماعتكم، فانّهم إن تموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين**»[2].

وثانياً: النصيحة، حيث ذكّر أمير المؤمنين عليه السلام طلحة والزبير ببيعتهما له ولزوم الوفاء بها ثم قوله لهما: «**فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما، فانّ الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يجتمع العار والنار**»[3] كما انّه عليه السلام لما أرسل ابن عباس قبل الحرب إلى الزبير ليستفيئه إلى طاعته قال له: «**لاتلقينّ طلحة، فانّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول، ولكن الق الزبير فانّه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا**»[4].

وثالثاً: عند عدم الاصغاء إلى النصيحة و الاصرار على الضلال، الدعاء عليهما والقتال، قال عليه السلام: «**اللهم انّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي، وألّبا الناس عليّ، فاحلل ما عقدا، ولا تحكم ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أمّلا وعملا، ولقد استثبتهما قبل القتال، واستأنيت**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣١.

بهما أمام الوقاع، فغمطا النعمة، وردّا العافية»[1].

وكتب عليه السلام إلى أهل الكوفة: «**واعلموا انّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله**»[2].

ولقد انتهت هذه المعركة بمقتل قادتها سوى عائشة، ولما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بطلحة وهو قتيل قال: «**لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب، أدركت وتري من بني عبد مناف، وأفلتني أعيان بني جمح، لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه**»[3].

ولكن بانتهائها لم تنته الفتنة، إذ انّ الشيطان وجد مرتعاً خصباً، فبدأ بالوسوسة في الصدور قبل المعركة وبعدها، وقد أصيب الحارث بن حوط بسهامه، فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام : «**ياحار انّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، انّك لم تعرف الحق فتعرف من أباه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه، فقال الحارث: فانّي أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال** عليه السلام **: انّ سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٨.

الحق ولم يخذلا الباطل»[1].

لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يراقب الأوضاع سيما في البصرة، فقد كتب إليهم يتوعدهم: **«وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم مالم تغبوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، فان خطت بكم الأمور المردية، وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي، فها أنا ذا قد قرّبت جيادي ورحلت ركابي، ولئن ألجأتموني إلى المسير اليكم، لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها الاّ كلعقة لاعق»**[2].

٣ ـ أصحاب صفين:

انّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعرف معاوية حق المعرفة، ويعلم نواياه وسوء سريرته، وقد كتب إلى زياد بن أبيه يحذّر من خدعه وكيده ويقول: **«انّما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته، ويستلب غرّته»**[3].

وقال عليه السلام لمعاوية: **«وانّك لذهّاب في التيه، روّاغ عن القصد»**[4].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٤.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٨.

وقال عليه السلام في مكان آخر: «**ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة**»[1].

وكتب له أيضاً: «**انّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم**»[2] انّ الله سبحانه ابتلى أمير المؤمنين عليه السلام بمعاوية، وهذا ما صرّح به عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية يقول فيه: «**أما بعد فانّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أُمرنا، وانّما وضعنا فيها لنبتلى بها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجة على الآخر**»[3].

وكتب عليه السلام أيضاً: «**فيا عجباً للدهر إذ صرت يُقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلى أحد بمثلها**»[4].

ولذا لم يرض بإبقائه على الشام، وكتب إليه: «**من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم، حتى كان ما لابد منه ولا دفع له، والحديث طويل والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٩.

وأقبل اليّ في وفدٍ من أصحابك»[1].

ولمّا تأخّر كتب عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي وقد أرسله إليه: **«وأما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فان اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السِّلم فخذ بيعته»**[2].

ولكن معاوية أبى وكان يريد البقاء على الشام، وهذا ما رفضه أمير المؤمنين عليه السلام بتاتاً وكتب له: **«وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أجري لك على أحدٍ منهم عقداً أو عهداً»**[3].

وكتب إليه مرة أخرى: **«وأما طلبك اليّ الشام، فانّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس»**[4].

كانت فترة انشغال أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل، فرصة ذهبية لمعاوية لتعبئة الناس واغفالهم وتأليبهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام كما كتب إليه عليه السلام: **«وألّب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم»**[5].

ومن خدعه ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: «ولما قتل عثمان

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٧٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٨.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٥.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم:١٧.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

ابن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه، ومعه أصابع نائله [زوجة عثمان] التي اصيبت حين حاجفت عنه بيدها فقطعت مع بعض الكف، فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كمّ القميص، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه، فتباكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله سنة، وحثّ بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان»[1].

وفي نص آخر: «كان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع، فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدّاً في أمرهم ثم رفعه، فاذا أحسّ بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرّك لها حوارها تحن، فيعلّقها»[2].

وقال مبعوث معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام: «تركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق»[3].

فهذا كان من أكبر خدع معاوية ضد الإمام، وقد حاول عليه السلام ردّ

١- البداية والنهاية ٧: ٢٥٥.

٢- الكامل لابن الأثير ٧: ١٩٢.

٣- تاريخ الطبري ٣: ٤٦٣.

خديعته ببيانه وبنانه، فكتب إليه: «**ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمنّ انّي كنت في عزلة عنه**»[1].

وكتب عليه السلام أيضاً: «**وأمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك، فانّي نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم اليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبوك ولا يكلّفونك طلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل، الاّ انّه طلب يسوءك وجدانه، وزور لا يسرّك لقيانه**»[2].

وكتب عليه السلام أيضاً: «**وزعمت انّك جئت ثائراً بدم عثمان، ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً**»[3].

وكتب عليه السلام أيضاً: «**فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فانّك انّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له**»[4].

وكتب له أيضاً: «**وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم اليّ أحملك وإياهم على كتاب الله**»[5].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦.
٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٩.
٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.
٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٧.
٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٤.

ومن خدع معاوية أيضاً ادعاؤه بطلان بيعة أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يشهدها الجميع، وعليه لابد من نقضها وإرجاع الأمر شورى بين المسلمين، وفي جوابه وردّ هذه الشبهة كتب أمير المؤمنين عليه السلام: **«انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وانّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فان اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى»**[1].

وكتب عليه السلام إليه أيضاً: **«لأنّها بيعة واحدة لا يُثنّى فيها النظر، ولا يُستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروّي فيها مداهن»**[2].

ومن خدعه أيضاً نبش الماضي، وإظهار مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام للخلفاء المتقدمين الذين كان يموّه بأفضليتهم على أمير المؤمنين عليه السلام لاشعال نار الفتنة الطائفية، وقد أجابه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **«وزعمت أنّ أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧.

الأولين وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم فيها، ألا تربع أيّها الانسان على ظلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر... .

وزعمت انّي لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلّهم بغيت، فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك ... وقلت انّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً مالم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بقينه ... .

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله، أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره ...»[1].

وكذلك تمسّك معاوية بقتل طلحة والزبير لتأليب الناس، فردّه عليه السلام وقال: «**وذكرت انّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدت بعائشة، ونزلت بين المصرين، وذلك أمر غبت عنه فلا عليك، ولا العذر فيه لك**»[2].

هذا عدا استمالة ضعفاء الإيمان بالأموال والمناصب، فذهب إليه

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٤.

من ذهب ممّن اغتر بالدنيا أمثال عمرو بن العاص الذي قال عليه السلام فيه: **«انّه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة»**[1].

وكتب له أيضاً: **«فانّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويُسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله، اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته، فأذهبت دنياك وآخرتك»**[2].

وكذلك غيره ممّن ترك الإمام عليه السلام وذهب إلى معاوية، وقد كتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة، يصف فيه حال الفارين: **«أما بعد، فقد بلغني انّ رجالاً ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، و ايضاعهم إلى العمى والجهل، وانّما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، قد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا انّ الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً، انّهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل»**[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٠.

فهذه كانت أحوال معاوية، وكان دور أمير المؤمنين عليه السلام في معالجة الأمر **أولاً**: تبيين ما عليه معاوية من واقع الحال في إظهار الإيمان نفاقاً وتبيين ضلاله، وانّه هو الذي ترك نصرة عثمان، كما مرّ شطر منه.

وثانياً: النصيحة، فقد كتب عليه السلام إلى معاوية: «**وكيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزينتها، وخدعت بلذّتها، دعتك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها، وإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمّر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الغواة من سمعك ...**»[1].

وكتب عليه السلام له أيضاً: «**وأرديت جيلاً من النّاس كثيراً، خدعتهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظّلمات وتتلاطم بهم الشّبهات، فجاروا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم، إلّا من فاء من أهل البصائر، فإنّهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله سبحانه من موازرتك، إذ حملتهم على الصّعب، وعدلت بهم عن القصد. فاتّق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشّيطان قيادك، فإنّ الدّنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك، والسّلام**»[2].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٢.

وكتب عليه السلام له أيضاً: «**فاتّق الله فيما لديك، وانظر في حقّه عليك، وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته، فإنّ للطّاعة أعلاماً واضحة، وسبلاً نيّرة، ومحجّة نهجة، وغاية مطّلبة، يردها الأكياس، ويخالفها الأنكاس، من نكب عنها جار عن الحقّ، وخبط في التّيه، وغيّر الله نعمته، وأحلّ به نقمته. فنفسك نفسك! فقد بيّن الله لك سبيلك، وحيث تناهت بك أمورك، فقد أجريت إلى غاية خسر، ومحلّة كفر، وإنّ نفسك قد أوحلتك شرّاً، وأقحمتك غيّاً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك**»[1].

وكتب عليه السلام له أيضاً: «**وإنّ البغي والزّور يوتغان المرء في دينه ودنياه، ويبديان خلله عند من يعيبه، وقد علمت أنّك غير مدرك ما قُضي فواته، وقد رام أقوام أمراً بغير الحقّ، فتأوّلوا على الله فأكذبهم، فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشّيطان من قياده فلم يجاذبه**»[2].

وكتب عليه السلام له أيضاً: «**فاتّق الله في نفسك، ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك، فهي طريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل، وتقطع الدابر...**»[3].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٨.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

وكتب له عليه السلام: **«أمّا بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل، وإقحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك، فراراً من الحقّ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك، وملىء به صدرك، فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال، وبعد البيان إلّا اللّبس، فاحذر الشّبهة واشتمالها على لبستها، فإنّ الفتنة طالما أغدفت جلابيبها، وأعشت الأبصار ظلمتها»**[1].

وثالثاً: عدم الاسراع للشروع بالحرب، فقد كتب عليه السلام لمعاوية: **«وأقسم بالله لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك منّي قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم»**[2].

وبلغ هذا التأنّي أن استبطأ جيش أمير المؤمنين عليه السلام القتال حتى اتهموه بالخوف والشك، ممّا اضطره عليه السلام أن يقول لهم: **«اما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت، فو الله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت اليّ، وأما قولكم: شكاً في أهل الشام، فو الله ما دفعت الحرب يوماً الاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحب اليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها»**[3].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٥.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٧٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٤.

ورابعاً: الحرب وهي آخر الدواء، فقد كتب عليه السلام له: «**وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريّة بدريّة، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد**»[1].

وقبل لقاء العدوّ دعا عليه السلام ربه وقال: «**اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الّذي جعلته مغيضاً للّيل والنّهار، ومجرًى للشّمس والقمر، ومختلفاً للنّجوم السّيّارة، وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك. وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوامّ والأنعام، وما لا يحصى ممّا يرى وما لا يرى. وربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً. إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة.**

أين المانع للدّمار، والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ؟! العار وراءكم، والجنّة أمامكم!»[2].

ثم استنهض أصحابه للجهاد وقال عليه السلام: «**اللّهمّ أيّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدّين والدّنيا**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧١.

غير الـمفسدة، فأبى بعد سمعه لـها إلّا النّكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينـك، فإنّـا نستـشهدك عليـه يـا أكـبر الـشّاهدين شـهادةً، ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك وسماواتك، ثمّ أنت بعد الـمغني عن نصره، والآخذ له بذنبه»[1].

ثم دارت المعركة بأشد ما يكون، فيوم لأصحاب أمير المـؤمنين عليه السلام على معاوية ويوم لمعاوية على أصحاب أمير المـؤمنين عليه السلام ،وكـان يقـول لهم: **«وقد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم، تحـوزكم الــجفاة الطّغام، وأعراب أهل الشّام، وأنتم لهاميم العـرب، ويـآفيخ الـشّرف، والأنف الـمقدّم، والسّنام الأعظم، ولقـد شـفى وحـاوح صـدري أن رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عـن مـواقفهم كمـا أزالوكم؛ حسّاً بالنّصال، وشجراً بالرّماح، تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم الـمطرودة، ترمى عن حياضها، وتذاد عن مواردها!»**[2].

وكان عليه السلام يحثّ جنده ويقول: **«واعلموا انّكم بعين الله ومـع ابـن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفـرّ، فإنّـه عـار في الأعقاب، ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفـساً، وامـشوا إلى الـموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرّواق المطنّب، فاضربوا ثبجه، فإنّ الشّيطان كامن في كسره، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم:٢١٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٦.

للنّكوص رجلاً؛ فصمداً صمداً! حتّى ينجلي لكم عمود الـحقّ؛ وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم»[1].

ولما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات، ومنعوا جيش أمير المؤمنين عليه السلام منه، قام خطيباً وقال لهم: **«قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّة، وتأخير محلّة، أو روّوا السّيوف من الدّماء تروووا من المـاء؛ فالموت في حياتكم مقهـورين، والــحياة في مـوتكم قـاهرين. ألا وإنّ معاوية قاد لمةً من الغواة، وعمّس عليهم الـخبر، حتّى جعلوا نحورهم أغراض الـمنيّة»**[2].

ومع هذا كلّه لما سمع عليه السلام جيشه يسبّون أصحاب الـشام، نهـاهم عن ذلك وقال لهم: **«إنّي أكره لكـم أن تكونـوا سـبّابين، ولكـنّكم لـو وصفتم أعمالـهم، وذكرتم حالـهم، كان أصوب في القـول، وأبلـغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الـحقّ من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به»**[3].

وهكذا استمر الأمر إلى أن لجأ معاوية إلى خدعة رفـع الـمصاحف، حيث ظهرت فتنة الخوارج كما سنبينه لاحقاً.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٦.

٤- الخوارج:

انّ طريقة الخوارج ومنهجهم التفكيري كان منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله، وقد قال فيهم: «هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة»[١].

ولكن كان أوّل ظهورهم التنظيمي بعد حادثة التحكيم في حرب صفين. وذلك عندما رفع أصحاب معاوية المصحف ودعوا إلى التحكيم إليه، الأمر الذي تنبأ به أمير المؤمنين عليه السلام من ذي قبل في كتاب كتبه إلى معاوية: «**وكأنّي بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع، إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة أو مبايعة حائدة**»[٢].

وكان موقف أمير المؤمنين عليه السلام أمام هذه الخدعة، الرفض وعدم القبول ومن الخوارج الإصرار وإجبار الإمام على القبول، وأمير المؤمنين عليه السلام يصوّر لنا هذا الأمر في احتجاجه على الخوارج ويقول: «**ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة اخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره ايمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضّوا**

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٢:٢٦٧وفتح الباري لابن حجر١٢:٢٥٣.
٢- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١٠.

على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق، إن أُجيب أضلّ وإن تُرك ذلّ»[1].

وقال عليه السلام لهم أيضاً: «**وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين، حتى صرفت رأيي إلى هواكم**»[2].

وبعدما قبل عليه السلام التحكيم كتب إلى معاوية: «**وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إيّاك أجبنا ولكنّا أجبنا القرآن إلى حكمه**»[3].

ولمّا رشّح معاوية عمرو بن العاص للتحكيم، أراد أمير المؤمنين عليه السلام ترشيح ابن عباس، لكن الخوارج رفضوا وأصرّوا عليه بتعيين أبي موسى الأشعري، يقول عليه السلام: «**ألا وانّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تحبون، واخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون، وإنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكرهٍ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التّهمة. فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العبّاس، وخذوا مهل الأيّام، وحوطوا قواصي الإسلام، ألا ترون إلى بلادكم تغزى، وإلى صفاتكم ترمى!**»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٦.

ويذكرهم عليه السلام بعدم أهليتهما للتحكيم ويقول: «**فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجمعجعا [أي يقيما] عند القرآن ولا يجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه، فتاها عنه، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل، والصّمد للحقّ ـ سوء رأيهما، وجور حكمهما**»[1].

وقال عليه السلام: «**انّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين ، أخذنا عليهما ألّا يتعدّيا القرآن، فتاها عنه، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجود حكمهما، والثقة في أيدينا لأنفسنا، حين خالفا سبيل الحق، وأتيا بما لا يُعرف من معكوس الحكم**»[2].

لكنّهم ندموا على ما فعلوا حيث لا ينفع الندم، كما قال عليه السلام: «**أما بعد فانّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضنّ الزند بقدحه،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٧.

فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النصح الاّ ضحى الغد»[1]

وهذه الفتنة راح ضحيتها الكثير، فانحازوا واصطفوا مع الخوارج، وقد قال عليه السلام في قوم من جند الكوفة لحقوا بالخوارج: «**بعداً لهم كما بعدت ثمود، أما لو أُشرعت الأسنة إليهم، وصبّت السيوف على هاماتهم، لقد ندموا على ما كان منهم، انّ الشيطان اليوم قد استفلّهم وهو غداً متبرّئ منهم ومخلّ عنهم، فحسبهم بخروجهم من الهدى، وارتكاسهم في الضلال والعمى، وصدّهم عن الحق وجماحهم في التيه**»[2].

وهناك أيضاً من احتار في أمره ولم يعرف الصواب من الخطأ، فقد قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد، فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأُخرى ثم قال: «**هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الّذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قوّمتكم وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من! أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨١.

كناقش الشّوكة بالشّوكة، وهو يعلم أنّ ضلعها معها!»[1].

ثم انّ الخوارج ندموا على مافعلوه، وتابوا بزعمهم وطلبوا التوبة من أمير المؤمنين عليه السلام وسائر المسلمين للرضى بتحكيم الرجال إذ انّه لا حكم إلاّ لله، فأجابهم عليه السلام قائلاً: «**انّا لم نحكّم الرجال، وإنّما حكّمنا القرآن. وهذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدّفّتين، لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمانٍ؛ وإنّما ينطق عنه الرّجال. ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله، وقال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾، فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته؛ فإذا حُكم بالصّدق في كتاب الله، فنحن أحقّ النّاس به، وإن حُكم بسنّة رسول الله فنحن أحقّ النّاس وأولاهم به.**

وأمّا قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التّحكيم؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل، ويتثبّت العالم، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة، ولا تؤخذ بأكظامها، فتعجل عن تبيّن الحقّ، وتنقاد لأوّل الغيّ»[2].

وأجاب عليه السلام عن اتهامه بالكفر: «**أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آبر، أبعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد على نفسي**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٥.

بالكفر، لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين»[1].

وقال عليه السلام وهو يحاججهم: «**فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت، فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسّقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب.**

وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزّاني [المحصن] ثمّ صلّى عليه ثمّ ورّثه أهله، وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله، وقطع السّارق وجلد الزّاني غير المحصن ثمّ قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات؛ فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله. ثمّ أنتم شرار النّاس، ومن رمى به الشّيطان مراميه، وضرب به تيهه!»[2].

وأجاب عليه السلام عن شبهة (لا حكم الاّ لله) بقوله: «**كلمة حق يراد بها باطل! نعم إنّه لا حكم إلّا لله، ولكنّ هؤلاء يقولون: لا إمرة، فإنّه لابدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القويّ، حتّى يستريح برّ،**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٧.

ويستراح من فاجر»[1].

ولم يأل عليه السلام جهداً في نصيحتهم وتحذيرهم، فقد قال لهم: «**فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، على غير بيّنة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم، قد طوّحت بكم الدار، واحتبلكم المقدار**»[2].

وكانوا منتشرين في جيش الإمام عليه السلام قبل انحيازهم بالنهروان، وكانوا يبثون الشكوك والشبه حتى أمام أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، فكانوا يأتون إليه ويسمعونه شعارهم «لا حكم الاّ لله» ممّا اضطر الإمام إلى أن يقول للبرج بن مسهر الطائي: «**اسكت قبّحك الله يا أثرم، فو الله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلاً شخصك، خفياً صوتك، حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن المعاز**»[3].

ولما نصح عليه السلام أصحابه بكفّ النظر عن الشهوات في واقعة، قال بعض الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب القوم ليقتلوه فقال: «**رويداً انّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب**»[4].

ولما خرج عليه السلام ليخطب الناس، صاحوا به من جوانب المسجد: لا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٤.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم:٤٠٨.

حكم الّا لله، وصاح به رجل منهم واضع إصبعه في اذنيه فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فقال عليّ عليه السلام: «**فاصبر انّ وعد الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون**»[2].

ونفس الواقعة تكررت مرّة أُخرى وهو عليه السلام في الصلاة، فأجاب بنفس الجواب[3].

فلمّا رأى أميرالمؤمنين عليه السلام انّهم تمادوا في الضلال، ولم تنفعهم النصائح، ضيّق عليهم، وقال فيما قال: «**ألا ومن دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه، فانّما حُكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، واماتته الافتراق عنه، فان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرّهم الينا اتبعونا**»[4].

وحتى بعدما انحازوا وبدأوا بالقتل والسلب، كان يرسل إليهم الأشخاص للمحاججة والنصيحة، وفي إحدى المرات أرسل ابن عباس وقال له: «**لا تخاصمهم بالقرآن، فانّه حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون،**

١- الزمر: ٦٥.

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٩.

٣- المصدر نفسه، ٢: ٣١١.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٧.

ولكن حاججهم بالسنة، فانّهم لن يجدوا عنها محيصاً»[1].

ورغم كل تلك الجهود وبعد رجوع قوم منهم إلى الحق، كان آخر الدواء الكي، فدارت الحرب، وقتلوا عن آخرهم وكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة**»[2].

ولما مرّ عليه السلام بقتلاهم قال: «**بؤساً لكم، لقد ضركم من غركم، فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضل، والأنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأماني، وفسحت لهم في المعاصي، ووعدتهم الإظهار، فاقتحمت بهم النار**»[3].

وبعد ما تمت الحرب نهى عليه السلام عن قتلهم بعده ومتابعتهم وقال: «**لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه**» يعني معاوية[4].

وذلك لأنّ هذا النمط من التفكير سيبقى ويستمر، كما قال عليه السلام: «**انّهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين**»[5].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٧٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٨.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣١٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٩.

وقال فيهم عليه السلام: «**أما انّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة**»[1].

وقيل في تعليل نهيه عليه السلام عن قتل الخوارج:

١ ـ انّه عليه السلام أراد اعطاء شرعية النهوض أمام الحاكم الجائر والاعتراض عليه، إذ انّ الحكام ربما يستغلّون موقف الإمام ويقمعون كل صوت يخالفهم بتهمة الخروج على الإمام.

٢ ـ وكذلك انّ الذي له الحق في محاربة الخوارج انّما هو الإمام الحق، ولاحكومة معصومة بعد علي عليه السلام الاّ للإمام المهدي عليه السلام ـ عدا أيام الإمام الحسن عليه السلام القلائل ـ .

٣ ـ ما ذهب إليه العلامة المجلسي من انّه لا تقتلوا الخوارج بعدي ما دام ملك معاوية وأضرابه، كما يظهر من التعليل[2].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥٧.

٢- البحار:٣٣:٤٣٤.

- ٧ -

علي عليه السلام والصحابة

لقد انطلق أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع الصحابة والتكلم عنهم موقف القرآن، إذ انّ القرآن لم يعطهم العصمة في امورهم، بل مدحهم تارة وذمّهم أخرى، فاذا أحسنوا كان جزاؤهم الاحسان، وإن أساؤوا كان جزاؤهم الذم والهوان، شأنهم شأن سائر الناس، لو لم تكن الحجة عليهم ألزم، كما هو الحال في نساء النبي صلى الله عليه وآله إذ يقول الله تعالى فيهنّ: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً﴾[1]. فهذا حال نساء النبي صلى الله عليه وآله فناهيك عن غيرهنّ من المسلمين.

ثم انّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي لم يصدر منه أمام الله تعالى سوى العبودية والخضوع والتذلل والانقطاع، يُهدّد تارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ*لأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[2]. وتارة بقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

١- الأحزاب: ٣٠-٣١.

٢- الحاقة: ٤٤-٤٦.

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[1]. وأُخرى بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾[2]. ويقول هو صلى الله عليه وآله عن نفسه الشريفة: «**ولو عصيت لهويت**»[3].

فمع هذا لا أدري كيف اجترأ القوم بالحكم على عدالة جميع الصحابة بما فيهم ومهما فعلوا؟! هذا ما يخالف القرآن والسنة النبوية، فالقرآن يدل على انّ ملاك النجاة انّما هو التقوى والعبودية من أيّ شخص كان، وملاك الهلاك انّما هو العصيان ومتابعة الشيطان من أيّ شخص كان، وانّما المكفّر الوحيد للذنوب الاستغفار والتوبة لا شيء آخر، فمن أذنب ثم تاب واستغفر غفر الله تعالى له ورضى عنه سواء كان صحابياً أو غير صحابي، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[4]. وكما قال تعالى في مسألة مباشرة النساء ليلة الصيام: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ

١- الزبر: ٦٥.

٢- المائدة: ٦٨.

٣- الارشاد للمفيد ١:١٨٢ شرح النهج لابن ابي الحديد١٠:١٨٤.

٤- الفتح: ١٨.

٥- البقرة: ١٨٧.

رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾[1]. ومن الطبيعي انّ هذه الآيات لم تنزل دفعة واحدة، بل نزلت واحدة تلو الأخرى وفي مناسبات مختلفة، فنرى التوبة السابقة والمغفرة من الله تعالى لحقتها توبات ومغفرات أخرى في مناسبات أخرى، مما يدلّل على انّ حال الصحابة حال غيرهم في المعصية والتوبة والمغفرة.

مضافاً إلى انّ هذا الرضى وقبول التوبة لم يكن ليعطي العصمة من الوقوع في الذنوب مرة أُخرى، ولم يقل أحد من المسلمين انّ صحابياً لو أذنب بعد نزول هذه الآيات الدالة على الرضى والمغفرة، لم يحتج إلى التوبة والاستغفار، وانّه يكفيه شمول هذه الآيات عند نزولها إذ أصبح في حمى رضى الله تعالى أبد الآبدين، كيف وقد احتجوا بنجاة البغاة على الإمام: طلحة والزبير وعائشة؛ بتوبتهم وندمهم، وسردوا لذلك شواهد، ولم يستدلّوا على نجاتهم ولم يحتجوا بكونهم من أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم، ومن الذين تاب الله عليهم في مواطن مختلفة، فلا حاجة إذن للتوبة إذ ثبتت عدالتهم من ذي قبل، بل تمسكوا وحاولوا اثبات توبتهم، لعلمهم في قرارة أنفسهم بأنّ الصحابي وغير الصحابي والنبي وغير النبي أمام المعصية والذنب سواسية، كما قال زين العابدين عليه السلام: «**خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن إليه ولوكان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولوكان سيداً قرشياً**»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بعدت

١- التوبة: ١١٧.

٢- المناقب لابن شهر آشوب ٣:٢٩١، البحار ٤٦: ٨٢.

لحمته، وانّ عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»[1].

أما السنة النبوية فيكفينا حديث الحوض الوارد والثابت في صحاح القوم الدالّ بصراحته على ارتداد بعض الصحابة القهقرى، واحداث البدع والفتن، مما استوجبوا بها النار، فقد روى البخاري في صحيحه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنّ رجال منكم ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: انّك ما تدري ما أحدثوا بعدك**»[2]. وفي لفظ آخر للبخاري: «**انّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، انّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[3].

وهذا ما ذكره أميرالمؤمنين عليه السلام وأكّده بقوله: «**حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين**»[4].

وفي نص آخر سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن الفتنة، وانّه هل سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: «**لمّا أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الم**

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٠.

٢- صحيح البخاري ٧: ٢٠٦، وصحيح مسلم ٧: ٦٨، وسنن ابن ماجة ٢: ١٠١٦.

٣- المصدر نفسه ٧: ٢٠٨.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٠.

*** أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتركُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟ فقال: «يا عليّ، إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي». فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: «أبشر، فإنّ الشّهادة من ورائك»؟ فقال لي: «إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن»!. فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصّبر، ولكن من مواطن البشرى والشّكر. وقال: «يا عليّ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع».**

قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّةٍ، أم بمنزلة فتنةٍ؟ فقال: بمنزلة فتنة»[1].

وقد مضى موقفه عليه السلام أمام الخلفاء، وكذلك البغاة أمثال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم.

وكما قلنا في البداية، انّ أمير المؤمنين عليه السلام انطلق في تعامله مع الصحابة من منطلق القرآن، ولذا نراه لا ينسى فضل المحسنين من الصحابة الذين قام الاسلام على أكتافهم، فيقول فيهم: **«لقد رأيت أصحاب**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، قد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذُكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جباههم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب»[1].

وقال عليه السلام في مدح الأنصار: **«هم والله ربّوا الاسلام كما يُربّى الفلوّ**[2] **مع غنائهم، بأيديهم السباط**[3] **وألسنتهم السلاط**[4]**»**[5].

وقال عليه السلام وهو يصف صمود الصحابة وتضحيتهم لنصرة الدين: **«ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك الاّ ايماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم، وجداً على جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما، أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صلى الله عليه وآله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقرّ الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه»**[6].

١- نهج البلاغة ، الخطبة رقم: ٩٦.

٢- الفلوّ: ولد الفرس.

٣- السباط: يقال رجل سبط اليدين أي سخي.

٤- السلاط: جمع سليط وهو الشديد وذو اللسان الطويل.

٥- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥٣.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٥.

- ٨ -

علي عليه السلام وبنو امية

أشار أمير المؤمنين عليه السلام في طيات كلامه إلى فتنة بني امية، وما يأتي على الناس من ظلم واضطهاد جرّاء حكمهم، ويتنبأ عليه السلام بسرعة زوال حكمهم، ونحن هنا نورد كلامه عليه السلام حول بني أُمية ونسرده سرداً.

قال عليه السلام: «**انّ بني امية ليفوّقوني تراث محمد تفويقاً، والله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحّام الوذام التربة**»[1].

وقال عليه السلام في دولتهم: «**حتى يظن الظان انّ الدنيا معقولة على بني امية، تمنحهم درّها وتوردهم صفوها، لا يُرفع عن هذه الأُمة سوطها ولا سيفها، وكذب الظانّ لذلك، بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ثم يلفظونها جملة**»[2].

وقال عليه السلام: «**ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني اميّة، فإنّها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدنّ بني أميّة**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٧٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٦.

لكم أرباب سوءٍ بعدي، كالنّاب الضّروس: تعذم بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم، أو غير ضائرٍ بهم، ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه، والصّاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيةً، وقطعاً جاهليّةً، ليس فيها منار هدًى، ولا علم يرى»[1].

وقال عليه السلام: «**والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه، ولا عقداً إلاّ حلّوه، حتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتّى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لدنياه، وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتّى يكون أعظمكم فيها غناءً أحسنكم بالله ظنّاً، فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا، فإنّ العاقبة للمتّقين**»[2].

وقال عليه السلام في وصف دولتهم وسرعة زوالها: «**فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا وأدخله الظَّلَمَة ترحةً، وأولجوا فيه نقمةً، فيومئذٍ لا يبقى لهم في السّماء عاذر، ولا في الأرض ناصر. أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير ورده، وسينتقم الله ممّن ظلم، مأكلاً بمأكلٍ، ومشرباً**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٧.

بمشربٍ، من مطاعم العلقم، ومشارب الصّبر والـمقر، ولباس شعار الـخوف، ودثار السّيف. وإنّما هم مطايا الـخطيئات وزوامل الآثام. فأقسم، ثمّ أقسم، لتنخّمنّها أميّة من بعدي كما تلفظ النّخامة، ثمّ لا تذوقها ولا تتطعّم بطعمها أبداً ما كرّ الـجديدان»[1].

وقال عليه السلام: «**انّ لبني امية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم**»[2].

قال الرضي رحمه الله: المرود هاهنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار، وهذا من أفصح الكلام وأغربه، فكأنّه شبّه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى النهاية، فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٨.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٥٢.

- ٩ -

علي عليه السلام وقريش

بعدما استلم أمير المؤمنين عليه السلام دفّة الحكم، كان يظهر على لسانه ما تحمّله من إقصاء وظلم من قبل قريش فيما مضى، كما استمر الحال في فترة حكمه عليه السلام حيث كانت البلايا والفتن التي حصلت في تلك الفترة من قبلهم وبتخطيطهم، واليك شكواه عليه السلام منهم:

قال عليه السلام: **«مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنّهم مفتونين، وانّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»**[1].

وقال عليه السلام: **«اللهم انّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا ألا في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه»**[2].

وبنفس اللفظ قال عليه السلام: **«اللّهمّ إنّي أستعديك على قريشٍ [ومن أعانهم]، فإنّهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، وفي**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٢.

الـحقّ أن تمنعه، فاصبر مغموماً، أو مت متأسّفاً. فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتي، فـضننت بهـم عـن الــمنيّة، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشّجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشّفار»[1].

وكتب عليه السلام إلى ابـن عبـاس: **«فـدع عنـك قريـشاً وتركاضـهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فانّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امّي»**[2].

وختاماً قال عليه السلام لما سئل عن قـريش: **«أمّـا بنـو مخــزوم فريحانـة قريش، نحبّ حديث رجالهم، والنّكاح في نسائهم، وأمّا بنو عبد شمس فأبعدها رأياً، وأمنعها لـما وراء ظهورها، وأمّا نحن فأبذل لـما في أيدينا، وأسمح عند الـموت بنفوسنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحـن أفـصح وأنصح وأصبح»**[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٦.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٤.

- ١٠ -

أدعية علي عليه السلام

ورد في نهج البلاغة مجموعة من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، كان يدعو بها في حالات ومناسبات مختلفة، وهي تعبّر عن مدى عُلقته عليه السلام المعنوية بالله تعالى، ونحن - تتميماً للفائدة - نوردها كما هي.

قال عليه السلام: **«نسأل الله منازل الشهداء، ومعايشة السعداء، ومرافقة الأنبياء»**[1].

وقال عليه السلام وهو يدعو على المتخاذلين من جنده: **«اللهم انّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء»**[2].

ومن دعائه عليه السلام في السفر: **«اللّهمّ انّي أعوذ بك من وعثاء السّفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. اللّهمّ أنت الصّاحب في السّفر، وأنت الخليفة في الأهل؛ ولا يجمعهما غيرك؛ لانّ المستخلف**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٥.

لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً»[1].

وقال عليه السلام: **«نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة»**[2].

وقال عليه السلام: **«اللّهمّ اغفر لي ما أنت أعلم به منّي؛ فإن عدت فعد لي بالمغفرة. اللّهمّ اغفر لي ما وأيت من نفسي، ولم تجد له وفاءً عندي. اللّهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك [بلساني] ثمّ خالفه قلبي. اللّهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللّسان»**[3].

وقال عليه السلام: **«اللهم أنت أهل الوصف الجميل، والتّعداد الكثير، إن تؤمّل فخير مأمولٍ، وإن ترج فأكرم مرجوٍّ. اللّهمّ وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحدٍ سواك، ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الرّيبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميّين؛ والثّناء على المربوبين المخلوقين. اللّهمّ ولكلّ مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء، أو عارفة من عطاء؛ وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرّحمة وكنوز المغفرة. اللّهمّ وهذا مقام من أفردك بالتّوحيد**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٧.

الّذي هو لك، ولم ير مستحقّاً لهذه المحامد والـممادح غيرك، وبي فاقـة إليك لا يجبر مـسكنتها إلاّ فـضلك، ولا يـنعش مـن خلّتهـا إلاّ منّـك وجودك، فهب لنا في هذا الـمقام رضاك، وأغننا عن مدّ الأيدي إلى من سواك، إنّك على كلّ شيء قدير!»[1].

وقال عليه السلام: **«ونسأله المعافـاة في الأديـان، كمـا نـسأله المعافـاة في الأبدان»**[2].

وكان من دعائه عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: **«اللّهـمّ اقـسم لـه مقـسماً مـن عدلك، واجزه مضعّفات الـخير من فـضلك. اللّهـمّ اعـل علـى بنـاء البانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرّف عندك منزلـه، وآتـه الوسـيلة، وأعطه السّناء والفضيلة، واحشرنا في زمرته غير خزايا، ولا نادمين، ولا ناكبين، ولا ناكثين، ولا ضالّين، ولا مفتونين»**[3].

وكان يدعو عليه السلام للاستسقاء ويقول: **«اللّهمّ قد انصاحت جبالنـا، واغبرّت أرضنا، وهامت دوابّنا، وتحيّرت في مرابضها، وعجّت عجـيج الثّكالى على أولادها، وملّت التردّد في مراتعها، والحنين إلى مواردهـا. اللّهمّ فارحم أنين الآنّة، وحنين الـحانّة!**

اللّهمّ فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في موالجها! اللّهمّ خرجنا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٥.

إليك حين اعتكرت علينا حدابير السّنين، وأخلفتنا مخايل الجود؛ فكنت الرّجاء للمبتئس، والبلاغ للملتمس. ندعوك حين قنط الأنام، ومنع الغمام، وهلك السّوام، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا، ولاتأخذنا بذنوبنا، وانشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق، والرّبيع المغدق، والنّبات المونق، سحّاً وابلاً تحيي به ما قد مات، وتردّ به ما قد فات.

اللّهمّ سقيا منك محييةً مرويةً، تامّةً عامّةً، طيّبةً مباركةً، هنيئةً مريعةً، زاكياً نبتها، ثامراً فرعها، ناضراً ورقها، تنعش بها الضّعيف من عبادك، وتحيي بها الميّت من بلادك! اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويخصب بها جنابنا، وتقبل بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتندى بها أقاصينا، وتستعين بها ضواحينا، من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة، على بريّتك المرملة، ووحشك المهملة.

وأنزل علينا سماءً مخضلةً، مدراراً هاطلةً، يدافع الودق منها الودق، ويحفز القطر منها القطر، غير خلّب برقها، ولا جهام عارضها، ولا قزع ربابها، ولا شفّان ذهابها، حتّى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيى ببركتها المستتون، فإنّك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك، وأنت الوليّ الحميد»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «اللّهمّ إنّا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك، حين ألجأتنا المضايق الوعرة، وأجاءتنا المقاحط المجدبة،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٤.

وأعيتنا المطالب المتعسّرة، وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة. اللّهمّ إنّا نسألك ألاّ تردّنا خائبين، ولا تقلبنا واجمين، ولا تخاطبنا بذنوبنا، ولا تقايسنا بأعمالنا. اللّهمّ انشر علينا غيثك وبركتك، ورزقك ورحمتك، واسقنا سقيا نافعةً مرويةً معشبةً، تنبت بها ما قد فات، وتحيي بها ما قد مات، نافعة الحيا، كثيرة المجتنى، تروي بها القيعان، وتسيل البطنان، وتستورق الأشجار، وترخص الأسعار، إنّك على ما تشاء قدير»[1].

وقال عليه السلام لما عزم على لقاء أصحاب صفين: «**اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الّذي جعلته مغيضاً للّيل والنّهار، ومجرًى للشّمس والقمر، ومختلفاً للنّجوم السّيّارة، وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك. وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوامّ والأنعام، وما لا يحصى ممّا يرى وما لا يرى. وربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً. إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة**»[2].

وكان من دعائه عليه السلام على قريش: «**اللهم انّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: انّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن**

١- نهج البلاغة ، الخطبة رقم: ١٤٣.

٢- المصدر نفسه ، الخطبة رقم: ١٧١.

تتركه»[1].

وقال عليه السلام: «**استعملنا الله بطاعته وطاعة رسوله، وعفا عنّا وعنكم بفضل رحمته**»[2].

وكان عليه السلام يستنهض ويدعو جنوده لجهاد أهل الشام قائلاً: «**اللّهمّ أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الـجائرة، والـمصلحة في الدّين والدّنيا غير الـمفسدة، فأبى بعد سمعه لـها إلّا النّكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشّاهدين شهادةً، ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك وسماواتك، ثمّ أنت بعد الـمغني عن نصره، والآخذ له بذنبه**»[3].

ومن دعائه عليه السلام الذي كان يدعو به كثيراً: « **الـحمد لله الّـذي لم يصبح بي ميّتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً دابري، ولا مرتدّاً عن ديني، ولا منكراً لربّي، ولا مستوحشاً من إيماني، ولا ملتبساً عقلي، ولا معذّباً بعذاب الأمـم من قبلي. أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي، لـك الـحجّة علـيّ ولا حجّة لي، لا أستطيع أن آخذ إلّا ما أعطيتني، ولا أتّقي إلّا ما وقيتني.**

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضلّ في هداك، أو أضام

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٢وقريب منه الخطبة٢١٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٢.

في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك! اللّهمّ اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي، وأوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي! اللّهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو نفتتن عن دينك، أو تتابع بنا أهواؤنا دون الـهدى الّذي جاء من عندك!»[1].

ومن دعائه عليه السلام: «**اللّهمّ صن وجهي باليسار، ولاتبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني، وأفتتن بذمّ من منعني، وأنت من وراء ذلك كلّه وليّ الاعطاء والمنع، إنّك على كلّ شيء قدير**»[2].

ومن دعائه عليه السلام أيضاً: «**اللّهمّ إن فهمت عن مسألتي، أو عميت عن طلبتي، فدلّني على مصالحي، وخذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذاك بنكر من هداياتك، ولا ببدع من كفاياتك، اللّهمّ احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك**»[3].

وكان عليه السلام يقول إذا لقى العدوّ: «**اللّهمّ إليك أفضت القلوب، ومدّت الأعناق، وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وأنضيت الأبدان. اللّهمّ قد صرّح مكنون الشّنآن، وجاشت مراجل الأضغان، اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، ربّنا افتح**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم:٢٢٦.

بيننا وبين قومنا بالـحقّ وأنت خير الفاتحين»[1].

وقال عليه السلام وقد مدحه قوم في وجهه: «**اللهم انّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلنا خيراً ممّا يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون**»[2].

ومن دعائه عليه السلام أيضاً: «**اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء النّاس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي، فأبدي للنّاس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقرّباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك**»[3].

وفي نهاية عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «**وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، انّا إليه راغبون**»[4].

نعم هذه كانت أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، وهي حِكَمَ وعبر وتوجّه إلى الله تعالى، وانقطاع إليه.

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ١٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٤.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

- ١١ -

الخصائص العلوية

نعتقد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لدلائل عقلية ونقلية كثيرة بحثت في مظانّها، وإن حاول القوم ـ عبثاً ـ إخفاء هذه الأفضلية، ولفترة عندما كانوا يعدّون الصحابة بحسب الأفضلية، يذكرون ابا بكر وعمر وعثمان ويمسكوا، أي يجعلون الصحابة بعدهم سواسية في الفضل[1]، ثم بعد فترة ألحقوا علياً عليه السلام بهم، وكان قسم منهم يتردد في المفاضلة بين علي عليه السلام وبين عثمان[2]؟!.

وهذا من عجيب الأمر، إذ كيف تُنسى تلك الروايات المتواترة والصحيحة الدالة على فضل أمير المؤمنين عليه السلام وتُهمل، ولكن كما قال عليه السلام: «**فيا عجباً للدهر إذ صرت يُقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها، الاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه،**

١- صحيح البخاري٤:٢٠٣.

٢- فتح الباري لابن حجر٧:١٤.

ولا أظنّ الله يعرفه»[1].

وقال عليه السلام أيضاً وهو يذكر قصة الشورى: **«متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم، حتى صرت أُقرن الى هذه النظائر»**[2].

وعلى كل حال، فانّ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله كثيرة لا يحصيها هذا المختصر، ونحن نشير الى بعضها بحسب ما ورد في نهج البلاغة، إذ «لو انّ الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حسّاب، والانس كتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[3].

وهذا الحديث النبوي صحيح في معناه حتى لو أغمضنا النظر عن سنده، إذ كيف يتمكن الخلق إحصاء فضائله الظاهرية والباطنية، والحال انّ عملاً واحداً منه عليه السلام في يوم الخندق كان أفضل من عبادتهم جميعاً[4].

وفيما يلي نورد بعض خصائصه عليه السلام بحسب ما ورد على لسانه في نهج البلاغة:

١ـ اسلامه: مضى انّ أمير المؤمنين عليه السلام أول من آمن برسول

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

٣- المناقب للخوارزمي:٣٢، وينابيع المودة للقندوزي٢:٢٥٤.

٤- المستدرك للحاكم٣:٣٢، تفسير الرازي٣٢:٣١، تاريخ بغداد للخطيب١٣:١٩، كنز العمال للمتقي ١١: ٦٢٣ ح٣٣٠٣٥.

اللهﷺ، فلا حاجة الى تكراره، وقد قال عليه السلام عن نفسه الشريفة: «**وانّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل، ومنار النهار، متمسّكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلّون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل**»[1].

٢ـ صدقه: قال عليه السلام بعد ما بويع بالمدينة: «**والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نُبّئت بهذا المقام وهذا اليوم**»[2].

وقال عليه السلام: «**أتراني أكذب على رسول الله ﷺ والله لأنا أوّل من صدّقه، فلا أكون أول من كذب عليه**»[3].

وقال عليه السلام مخاطباً أهل العراق: «**وقد بلغني انّكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله فعلى من أكذب، أعلى الله فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه**»[4].

وقال عليه السلام في خطبة تشتمل على ذكر الملاحم: «**فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، انّ الذي أُنبئكم به عن النبي ﷺ، ما كذب المبلغ ولا جهل السامع**»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٧.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٠.

وقال عليه السلام: **«والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق الاّ صادقاً، وقد عهد اليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي الاّ أفرغه في اذني و أفضى به اليّ»**[1].

وقال عليه السلام وهو يصف مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وقربه منه: **«وما وجد كذبة لي في قول، ولا خطلة في فعل»**[2].

٣ ـ محبته: قال عليه السلام: **«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني، وذلك انّه قضي فانقضى على لسان النبي صلى الله عليه وآله انّه قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»**[3].

ويؤيّده ما رواه مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام انّه قال: **«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، انّه لعهد النبي الامي صلى الله عليه وآله اليّ لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»**[4].

طبعاً نحن نتمسّك بحبه عليه السلام وولايته، ولا نخرج عن حدّ الاعتدال لنقع في الغلو، إذ كما قال عليه السلام: **«هلك فيّ رجلان: محب غال، ومبغض**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠.

٤- صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٣٣ ح ١٣١.

قال»[1]. وقال عليه السلام: **«يهلك فيّ رجلان: محب مفرط، وباهت مفتر»**[2].

٤ ـ زهده: كتب عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: **«ألا وانّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه اتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفطة مقرة... ولوشئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى... فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها... إليك عنّي يادنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك... اعزبي عنيّ فو الله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني، وايم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عز وجل، لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا**

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١١١.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٥٧.

قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، و يأكل عليّ من زاده فيهجع، قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية»[1].

ورُؤي عليه إزار خلق مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: **«يخشع له القلب، وتذلّ به النفس، ويقتدي به المؤمن»**[2].

قال عليه السلام: **«أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»**[3].

وقال عليه السلام: **«والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اعزب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السُّرى»**[4].

وقال عليه السلام: **«انّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذّة لا تبقى»[1].

وقال عليه السلام وهو يخاطب الدنيا: **«يادنيا يادنيا، إليك عنّي، أبي تعرضت، أم إليّ تشوّقت، لا حان حينك، هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير»**[2].

وقال عليه السلام: **«والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم»**[3].

٥ ـ بصيرته: قال عليه السلام: **«ما شككت في الحق مذ أُريته»**[4].

وقال عليه السلام: **«وانّ معي لبصيرتي، ما لبست على نفسي، ولا لُبس عليّ»**[5].

وقال عليه السلام: **«وانّي لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من ديني»**[6].

وقال عليه السلام: **«وانّي لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيّي، وانّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً»**[7].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٧٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٢٧.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٦.

وقال عليه السلام: **«فو الذي لا إله إلاّ هو انّي لعلى جادة الحق، وانّهم لعلى مزلّة الباطل»**[1]. وقال عليه السلام في البغاة: **«وانّي من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي، ويقين من ربي»**[2].

٦ ـ **استجابة دعائه:** وهي كثيرة، وردت الاشارة إلى واحدة منهـا في نهج البلاغة، وذلك لما بعث أنس بن مالك إلى طلحة والزبير لما جاءا إلى البصرة يذّكرهما بشيء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما، فلوى عن ذلك فرجع إليه فقال: انّي نسيت ذلك الأمر، فقال عليه السلام: **«إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة»** يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى الاّ مبرقعاً[3].

٧ ـ **شجاعته:** قال عليه السلام في الناكثين: **«فان أبوا أعطيتهم حّد السيف، وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحق، ومن العجب بعثهم اليّ أن ابرز للطعان، وأن اصبر للجلاد، هبلتهم الهبول، لقد كنت وما أُهدد بالحرب ولا أُرهب بالضرب»**[4].

وقال عليه السلام بعدما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وكيفية دعوته وارشاده:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٧.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٠٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢.

«أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولّت بحذافيرها، ما عجزت ولا جبنت»[1].

وقال عليه السلام في حثّ الناس على جهاد أهل الشام: **«والله انّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية، تطير منه فراش الهام، وتطيح منه السواعد والأقدام»**[2].

وقال عليه السلام بعدما استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: **«أما قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت، فو الله ما أُبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت اليّ»**[3].

وقال عليه السلام: **«انّ أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش»**[4].

وقال عليه السلام: **«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها»**[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٢.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم:٤٥.

وقال عليه السلام: **«انّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت»**[1].

وأخيراً قيل له عليه السلام: **«بأيّ شيء غلبت الأقران؟ فقال: «ما لقيت رجلاً الاّ أعانني على نفسه»** يومئ عليه السلام بذلك إلى تمكّن هيبته في القلوب[2].

٨ ـ علمه: قال عليه السلام: **«اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة»**[3].

وقال عليه السلام: **«فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة الاّ نبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ راكبها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منها موتاً»**[4].

وقال عليه السلام بنفس المضمون: **«أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض»**[5].

وقال عليه السلام: **«وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يسأله**

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٢.
٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٠٩.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٢.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٩.

ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ، فيسأله حتى يسمعوا، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء الاّ سألت عنه وحفظته»[1].

وقال في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: **«أي بني، انّي وإن لم أكن عُمّرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عُدت كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى اليّ من امورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره»**[2].

وفي عهده عليه السلام للأشتر: **«واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها الاّ ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلاً قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّه وفريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً»**[3].

ويدخل أيضاً في غزارة علمه عليه السلام إخباره بالمغيبات التي تعلّمها من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٠.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما صرّح به عليه السلام لبعض أصحابه لما قال له: لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك وقال: **«ليس هو بعلم غيب، وانّما هو تعلّم من ذي علم، وانّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾[1] الآية، فيعلم سبحانه مافي الأرحام من ذكر أو انثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد الاّ الله، وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»**[2].

ومما ورد في نهج البلاغة من اخباره بالمغيبات قوله عليه السلام في مروان ابن الحكم: **«أما انّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»**[3].

قال عليه السلام: **«فوالّذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة، إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، ما كذب المبلّغ، ولا جهل السّامع، لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشّام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان. فإذا فغرت فاغرته، واشتدّت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة**

١- لقمان: ٣٤.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٢.

أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيّام كلوحها، ومن اللّيالي كدوحها.

فإذا ينع زرعه، وقام على ينعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم. هذا، وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمرّ عليها من عاصف! وعن قليل تلتفّ القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود!»[1].

وقال عليه السلام: «**فتن كقطع اللّيل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا تردّ لها راية، تأتيكم مزمومةً مرحولةً: يحفزها قائدها، ويجهدها راكبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم، يجاهدهم في الله قوم أذلّة عند المتكبّرين، في الأرض مجهولون، وفي السّماء معروفون.**

فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله! لا رهج له، ولا حسّ، وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغبر»[2].

وقال عليه السلام: «**أما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيال الميّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم»**[3].

وقال عليه السلام عن البصرة: «**يا أحنف، كأنّي به وقد سار بالجيش**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٥.

الّذي لا يكون له غبار ولا لجب، ولا قعقعة لُجم، ولا حمحمة خيل، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام. يومىء بذلك(عليه السلام) إلى صاحب الزّنج. ثمّ قال(عليه السلام): **ويل لسككم العامرة، ودوركم المزخرفة الّتي لها أجنحة كأجنحة النّسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الّذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غائبهم. أنا كابّ الدّنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها.**

منه: ويومئ به إلى وصف الاتراك: **كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرّقة، يلبسون السّرق والدّيباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل، حتّى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقلّ من المأسور!»**[1].

وقال عليه السلام: **«ألا وفي غدٍ ـ وسيأتي غد بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها، وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سِلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السّيرة، ويحيي ميّت الكتاب والسّنّة. كأنّي به قد نعق بالشّام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضّروس، وفرش الأرض بالرّؤوس، قد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصّولة. والله ليشرّدنّكم في أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلاّ قليل، كالكحل في العين، فلا تزالون كذلك، حتّى تؤوب إلى العرب**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٨.

عوازب أحلامها»[1].

وقال عليه السلام: **«وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الـحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله؛ وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من الـمعروف، ولا أعرف من المنكر!»**[2].

وقال عليه السلام في دولة بني أُمية: **«فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الاّ وأدخله الظلمة ترحة، وأولجوا فيه نقمـة، فيومئـذٍ لا يبقـى لهـم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر ... فأُقسم ثم أُقسم، لتنخمنّها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثـم لا تـذوقها ولا تـتطعّم أبـداً مـا كـرّ الجديدان»**[3].

وقال عليه السلام: **«والله لو شئت أن أُخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا وانّي مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه عن الخلق، ما أنطق الاّ صادقاً، وقد عهد اليّ بذلك كلّه، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى**

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٨.

شيئاً يمرّ على رأسي الاّ أفرغه في اذني وأفضى به اليّ»[1].

وقال عليه السلام: «**يأتي على النّاس زمان لا يقرّب فيه إلاّ الماحل، ولا يظرّف فيه إلاّ الفاجر، ولا يضعّف فيه إلاّ المنصف، يعدّون الصّدقة فيه غرماً، وصلة الرّحم منّاً، والعبادة استطالةً على النّاس! فعند ذلك يكون السّلطان بمشورة الاماء، وإمارة الصّبيان، وتدبير الخصيان!**»[2].

وأخيراً قال عليه السلام: «**لتعطفنّ الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾[3]**»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٦.

٣- القصص: ٥.

٤- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٩٩.

- ١٢ -

علي عليه السلام والشهادة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: **«لولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين»**[١].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام سيد المتقين، وكان يتلهّف إلى الشهادة والى لقاء ربه، وفي كل معركة كان عليه السلام يترقب ذلك، ولما حيزت عنه الشهادة يوم احد شق ذلك عليه حتى انّه شكى ما به من ألم إلى النبي صلى الله عليه وآله، وهو عليه السلام يصور لنا هذه المحاورة بصورة رائعة ويقول: **«فقلت: يارسول الله أوليس قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت: أبشر فانّ الشهادة من ورائك، فقال لي: انّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذن؟! فقلت: يارسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر»**[٢].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

وكان عليه السلام يقول لجنده أيام خلافته: «**فو الله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية، لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً**»[1].

وبنفس المضمون قال مرّة اخرى: «**والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدوّ ـ ولو قد حمّ لي لقاؤه ـ لقرّبت ركابي، ثم شخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال**»[2].

وكان عليه السلام يدعو أن يرزقه الله تعالى الشهادة شوقاً إليها، فكتب في عهده إلى الأشتر: «**وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة... أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة**»[3].

وكان من دعائه عليه السلام لما عزم على لقاء أهل الشام: «**... وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة**»[4].

وكان عليه السلام متألّماً لتأخّر فوزه بالشهادة، وكان تألمه هذا يظهر في بيانه وما سطره ببنانه، فقال عليه السلام فيما كتبه لمعاوية حينما ذكر استشهاد حمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث: «**وأراد من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عُجّلت ومنيته أُخّرت**»[5].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣٥.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٨.
٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧١.
٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٩.

وكان عليه السلام يقول بملء فمه المبارك: **«وانّي إلى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج»**[1].

بل انّه عليه السلام كان يأنس بالموت كما قال: **«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امّه»**[2].

وأخيراً

لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)

صاحت الأفلاك: **تهدمت والله أركان الهدى**

وصاح عليّ عليه السلام:

«فزت ورب الكعبة»

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥.

الفهرس

العنوان	الصفحة
تمهيد	٥
١- علي ورسول الله صلى الله عليه وآله	٧
١- إسلامه عليه السلام:	٨
٢- جهاده عليه السلام:	١٠
٣- اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله:	١٢
٤- الروايات المسندة:	١٤
٥- ساعة الرحيل:	١٩
٢- علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله	٢٣
١- السقيفة:	٢٤
٢- مظلومية الزهراء عليها السلام:	٢٨
٣- فدك:	٣١
٤- مساعدة السلطة:	٣٨
٣- علي عليه السلام والإمامة	٤١
٤- علي عليه السلام والخلفاء	٥٢
١- أبو بكر:	٥٢
٢- عمر بن الخطاب:	٥٤
٣- عثمان بن عفان:	٦٣
٥- علي عليه السلام والخلافة	٧٢
١- البيعة:	٧٢

العنوان	الصفحة
٢- تحليل نفسية المجتمع:	٧٨
٣- وصف المسلمين آنذاك:	٨٤
٤- سيرته عليه السلام الحكومية:	٩٦
٥- سيرته عليه السلام المالية:	١٠٧
٦- سيرته عليه السلام الحربية:	١١٦
٦- علي عليه السلام والبغاة	١٢٤
١- حكم البغاة:	١٢٤
٢- أصحاب الجمل:	١٣٦
٣- أصحاب صفين:	١٤٥
٤- الخوارج:	١٥٨
٧- علي عليه السلام والصحابة	١٦٩
٨- علي عليه السلام وبنو امية	١٧٥
٩- علي عليه السلام وقريش	١٧٨
١٠- أدعية علي عليه السلام	١٨٠
١١- الخصائص العلوية	١٨٨
١٢- علي عليه السلام والشهادة	٢٠٤
الفهرس	٢٠٧